سلسلة مقارنة الأديان

(الكتاب السادس)

دور القساوسة التبشيري

في الحروب الصليبية

أ.د/ أحمد عبد الهادي شاهين

أستاذ الدعوة ومقارنة الأديان في جامعة الأزهر

وعضو هيئة كبار علماء الجمعية الشرعية الرئيسية بالقاهرة.

من نور القرآن الكريم

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ۚ ﴾

سورة البقرة الآية (٢١٧).

دور القساوسة التبشيري في الحروب الصليبية.

رقم الإيداع/ ٧٣٧٤/ ٢٠٢٢ بدار الكتب المصرية.

الترقي الدولي:978-977-94-1132-3

الطبعة الأولى/ سنة ١٤٤٣هـ-٢٠٢٢م.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، نحمده ونستعين به ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا، ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور.

وأصلي وأسلم على خير خلقه وخاتم رسله، سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن اتبع نهجهم، وسار على دربهم إلى يوم الدين. **وبعد**...

فتعد الحروب الصليبية واحدة من أهم وأشهر الأحداث التاريخية، لأنها شغلت حيزا كبيرا من التاريخ العالمي، وبلغ من شهرتها أنها من الأحداث التي يعرفها طلاب الجامعات في الشرق والغرب، بل يدرسها طلاب المدارس في مراحل تعليمية مختلفة.

وتمثل الحروب الصليبية لونا من الصراع الديني، وبسط النفوذ العسكري، بين النصرانية والإسلام، فهي ليست صداما عسكريا فقط، بل هي صدام بين ديانتين وحضارتين.

وتقف الخلفية الفكرية للصراع الحضاري وراء الصدامات والحروب، التي اشتعلت بين الشرق والغرب، من خلال الحروب الصليبية التي استغرقت قرنين من الزمان، من نهاية القرن الحادي عشر، حتى نهاية القرن الثالث عشر الميلادي،

فهي نقطة تحول في التاريخ، وحلقة من حلقات الصراع الطويل، الذي بقيت آثاره حتى الآن.

وتعد الفترة الزمنية للحروب الصليبية (١٠٩٦ - ١٢٩١) هي تحديدا لفترة الصدام المباشر والمتكرر، لكن الحقيقة أن الحروب الصليبية تبدأ قبل ذلك بقرون طويلة، ولم تنته حتى الآن، فسبقتها أحداث جذورها ضاربة في التاريخ، وتبعتها ذيول وآثار، فهي طور من الأطوار في العلاقة بين الشرق والغرب.

والحروب الصليبية في حقيقتها تعد مشروعات احتلالية استيطانية، هدفها الأول والأخير احتلال العالم الإسلامي، تحت راية الصليب، والتوسع في نشر النصرانية على حساب الإسلام، فقد واجه المسلمون أشرس غزو استعماري، استهدف العقيدة والأرض، والهوية الحضارية للأمة الإسلامية، حيث استطاعت الحملة الأولى بعد نجاحها أن تقيم عدة إمارات صليبية في المشرق مثل، الرها وأنطاكية، وبيت المقدس، وطرابلس.

لقد جمعت الحروب الصليبية بين أطماع رجال الدين، وبين أطماع الساسة في التوسع للنصرانية، والقضاء على الإسلام، حتى لو أدى ذلك إلى استخدام القوة العسكرية بجميع صورها وأشكالها، فهي كانت محاولة قوية لفرض النفوذ الغربي النصراني على المسلمين، والعمل على الاستسلام له مهما كانت النتائج والأثار.

ولقد نجح الصليبيون في الحملة الصليبية الأولى، وهزموا في الثانية، ولم ييأسوا بعد ذلك، بالرغم من هزائمهم المتكررة في أغلب هذه الحروب، وإنما استمروا في

إرسال الحملة تلو الأخرى، حتى يحققوا غايتهم، ويصلوا إلى مرادهم، وهدفهم المنشود.

ولئن فشلت هذه الحروب الصليبية في تحقيق أهدافها في بلاد الشام ومصر- وتونس، فقد نجحت في تحقيق بعض أهدافها ومطامعها في الغرب، حيث استطاعت أن تستولى على الأندلس وصقلية، وقد تعاون في تحقيق ذلك شعوب أوربا كلها.

ففي الوقت الذي انشغل المسلمون في الشرق بالحروب الصليبية، لم يستطيعوا أن يقدموا يد العون لمساعدة إخوانهم في الأندلس، حتى تمكن النصارى من القضاء عليهم، وإخراجهم منها بعد ثمانية قرون من الزمن.

لقد ظهر الطابع التبشيري في الحملات الصليبية، في حرصهم على تحويل بعض المسلمين إلى نصارى، يتبعون الكنيسة المسيحية، سواء في الشرق أو في الغرب، وبناء العديد من الكنائس، وتحويل المساجد إلى كنائس، وإنشاء الجمعيات التبشيرية في أماكن كثيرة من العالم الإسلامي.

وأما عن الحملات العسكرية الغربية في العصر- الحديث فهي تعد امتدادا للحروب الصليبية، فحينما انتهت الحرب العالمية الأولى، التي خلصت بهزيمة تركيا، ووقوع فلسطين تحت الانتداب البريطاني، ثم الاحتلال الصهيوني، كانت هذه حلقة من الحلقات المستمرة في الصراع، فالحروب الصليبية لم تكن وضعت أوزارها بعد عند الغرب.

والمسلمون اليوم يواجهون مشروعا صليبيا صهيونيا في جميع مناحي الحياة العسكرية، والسياسية، والاقتصادية، والثقافية، تحت مسمى العولمة، التي تقوم على تهميش دور المسلمين في العالم، رغبة في سيطرة الغرب على العالم الإسلامي، وجعله منتجا للمواد الخام الأولية، وسوقا مستهلكة للمنتجات الغربية.

ومن الجدير بالذكر أن الفترة الزمنية التي سبقت الحروب الصليبية في العالم الإسلامي، تتشابه كثيرا مع ما تعيشه الأمة المسلمة الآن، حيث جاءت هذه الحروب والعالم الإسلامي يعانى من الفرقة والتجزئة والانقسام، فكانت قيادة المسلمين موزعة تحت ثلاث جبهات، الخلافة العباسية في بغداد، وهي تمثل المذهب السني، والفاطمية في القاهرة، وهي تمثل المذهب الشيعي، وبقايا الخلافة الأموية في الأندلس، بالإضافة إلى بعض المناطق التي تعيش في حالة من الحكم الفردي، بعيدا عن هذه التكتلات السابقة.

وأما واقع المسلمين الآن، فقد غابت الخلافة الإسلامية عن حياة المسلمين في نهاية الربع الأول من القرن العشرين الميلادي، وأصبحت كل دولة قائمة بنفسها، ووقعت بعض البلاد الإسلامية تحت طائلة الاحتلال، وبعض دول العالم الإسلامي إما مشاهد، أو مشارك في هذه الأحداث.

فالخلافات الداخلية، والتنازع على السلطة، والصراعات المذهبية، وتقسيم الأمة إلى دويلات صغيرة، وتجزئة الدولة إلى دولتين، مثلما يجرى في السودان بفصل الشمال عن الجنوب، من أخطر الأسباب التي تؤدى إلى ضعف المسلمين

ماديا ومعنويا، ووقوعهم تحت قبضة الاحتلال في سهولة ويسر. فلا زالت فلسطين تقع تحت قبضة الاحتلال الصهيوني، والعراق وأفغانستان يقعان تحت سيطرة الاحتلال الأمريكي البريطاني، مع بعض دول أوربا، ولا أحد يدرى ماذا في المستقبل القريب من أحداث.

إن الاحتلال الصليبي للقدس قديما، والصهيوني حديثا، إنما هو كالأجسام الغريبة التي تخترق الجسم فترة من الزمن، فتتصارع معها الأجسام المضادة، ويحكم عليها بالموت والطرد لا محالة، لأنها غريبة عن البيئة، وتعيش في غير موضعها.

لقد مرت على الأمة الإسلامية، مراحل في غاية السوء، والشدة، والضعف، والوهن، مثلما وقع في أثناء الحروب الصليبية، ومع ذلك لم تصل الأمة إلى مرحلة اليأس والقنوط، واستطاعت أن تتغلب على الصعوبات، وتواجه الشدائد، بفضل المقاومة المستمرة، والجهاد المتواصل، الذي قاد المسلمين إلى النصر، وتحرير البلاد من الاحتلال الأجنبي الغشوم، قال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾[1].

أسأل الله ﷻ أن يعيد المسلمين إلى منهج ربهم ووحدتهم، وأن يمنحهم القوة التي تكون سببا في النصر والتمكين.

❁❁❁

(١) سورة يوسف جزء من الآية (٨٧).

أهمية الموضوع ودواعي الكتابة فيه:

١- لاشك أن دراسة التاريخ بصفة عامة، والتاريخ الإسلامي بصفة خاصة، موضوع مهم في حياة الأمم والشعوب، خاصة في فترة المعارك والحروب، والنهضة والكبوة، لاسيما أن التاريخ يعيد نفسه، وأحداث اليوم لها ما يماثلها من وقائع الأمس، وقديما قالوا: (ما أشبه الليلة بالبارحة) فقد تتغير الوجوه لكن الدور واحد.

ولا يختلف أحد على أن التاريخ مرآة عاكسة لحياة الشعوب، كما أنه حافل بالتجارب والأحداث والدروس والعبر، لمن أراد أن يعتبر، قال تعالى: ﴿ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾[١]. وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[٢].

وتعتبر الحروب الصليبية من أهم الأحداث التي قامت حولها دراسات مستفيضة، للوقوف على مقدماتها وأحداثها ووقائعها ونتائجها وآثارها، وأخذت حيزا كبيرا من الاهتمام في البحث والكتابة والتأليف في الشرق والغرب، يقول ول ديورانت: (كانت الحروب الصليبية هي الفصل الأخير من مسرحية العصور الوسطي، ولعلها أجدر الحوادث بالتصوير في تاريخ أوربا والشرق الأدنى) [٣].

---

(١) سورة الأعراف الآية (١٧٦).

(٢) سورة يوسف الآية (١١١).

(٣) قصة الحضارة ول ديورانت ١١/١٥ ترجمة محمد بدران ط/ جامعة الدول العربية ١٩٧٦م.

لكن ما زالت في أحداثها جوانب هامة، تحتاج إلى مزيد من البحث والتحليل والتنقيب عن أسرارها، ومن بينها هذا الموضوع.

٢- معرفة الجذور التاريخية لفكرة الحروب الصليبية، مع تتبع تطورها عبر الأحداث التي وقعت في هذه الحملات المتكررة، فقد تسربلت بثياب الدين ظاهرا، وكشفت أحداثها ووقائعها عن مطامع مادية ودنيوية كانت وراء الأحداث وتطورها.

٣- الوقوف على حقيقة دور القساوسة التبشيري في الحروب الصليبية، فالدور الخفي لرجال الدين من النصارى، ودور الكنيسة البابوي كان يقبع خلف هذه الأحداث الدامية، من حيث الإعداد، والتعبئة والتجهيز، والدعم المادي والمعنوي، ومنح صكوك الغفران للمشاركين، ومخاطبة الناس باسم الرب، والحرب المقدسة، بالإضافة إلى أنها قدمت حشودا كبيرة، وتجهيزات واسعة، وأموالا كثيرة، لكى تبدأ وتستمر تلك الحروب، مهما كانت النتائج والآثار.

إن رجال الدين والكنيسة هم المحرضون أولا وأخيرا على تحريك هذه الحرب، حيث أثروا في عقول الناس وعواطفهم، وأوغروا صدورهم على الإسلام وأهله، وحركوا فيهم الأطماع المادية والدنيوية، وبثوا فيهم من الدوافع والقناعات التي تسوقهم إلى الدخول في هذه الحرب المقدسة من وجهة نظرهم.

٤- فتح أعين المسلمين على حقيقة الغرب، حيث لا يزال هناك بقايا رواسب في النفوس، صنعت فجوة بين الطرفين، فلا يزال الشرق شرقا، ولا يزال الغرب

غربا، ولا يتوقع أن يتحول أحدهما تابعا للآخر، ومن ثم يبقى الصراع مستمرا لفترة أخرى قادمة، لا يعلم مداها إلا الله وحده، وقد رأينا أن المنطقة في الشرق الأوسط تعرضت في السنوات الأخيرة لهجوم مماثل للحروب الصليبية، وقد صرح بذلك أحد قادة الغرب، قبل بداية حربهم على أفغانستان والعراق(١).

فالعصر الحاضر شهد تحولات كبرى، وتغيرات واسعة، في استراتيجية الغرب نحو الإسلام.

٥- معرفة أوجه التشابه بين الحروب الصليبية القديمة والمعاصرة، والمقارنة بينهما، في محاولة لفهم الحاضر في ضوء أحداث التاريخ السابقة، لنصل إلى الحقيقة، وهي أن رجال الدين في الغرب يقفون خلف الأحداث، سواء كانت بصورة ظاهرة أم مستترة، حتى أصبحت الوظيفة الأولى للبابوية هي قيادة الحروب المقدسة، ورسم الخطط السياسية للسيطرة على العالم الإسلامي وتنصيره.

---

(١) صرح الرئيس الأمريكي بوش الابن عقب أحداث ١١سبتمر سنة ٢٠٠١م قبل إعلان الحرب على أفغانستان بأنها حرب صليبية جديدة. وقبل تصريح الرئيس الأمريكي بوش الابن بخمس سنوات: (حاول بعض النصارى محو الذكريات السيئة للمسلمين عن الحروب الصليبية، حتى تزول الحواجز النفسية التي تحول بينهم وبين المسلمين، فانطلقت من أوروبا مسيرة مصالحة نصرانية للاعتذار للمسلمين عن الحملات الصليبية من فرنسا سنة ١٩٩٦ ومن ألمانيا سنة ١٩٩٧م معظمهم من أحفاد الصليبيين، زارت تركيا ولبنان، والتقت ببعض المسؤولين، وقدموا لهم اعتذارا شفهيا عن جرائم أجدادهم الذين غزو المنطقة قبل تسعمائة سنة، وارتكبوا المجازر وألحقوا الدمار بالبلاد). انظر أطلس الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي في العصور الوسطى، سامي بن عبدالله بن أحمد المغلوب، صـ٢٤٠ ط/العبيكان الأولى ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م.

فالحروب الأمريكية التي قامت في أفغانستان والعراق سبقها فكر أيدلوجى، كان وراءه رجال الدين وقادته، فكان يجمع بين أمريكا، ودولة فرسان مالطا[١].

ومن ثم فدراسة أحداث الماضي تقدم بعض المؤشرات حول فهم أحداث الواقع المعاصر، فلا يستطيع أي باحث أن يقوم بدراسة دور القساوسة التبشيري في الحروب الصليبية بمعزل عن التعرض لأسباب الحروب وأحداثها وآثارها، حتى يمكن أن يستخلص الجانب التبشيري للقساوسة في هذه الحروب، وكذلك دون أن يربط الحروب الصليبية القديمة بالحديثة، وبالواقع المعاصر.

فالموضوع ليس دراسة تاريخية مجردة، بقدر ما يستفيد الباحث من ربط الماضي بالحاضر، وفهم الحاضر في ضوء الماضي، واستخلاص الخطوط المشتركة بين الأحداث من أجل استشراف المستقبل، وكذلك العمل على التصدي للمخاطر التي تواجه المسلمين في عصرنا الحاضر، قال تعالى: ﴿ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾[٢].

---

(١) هيئة غربية، مقرها في الفاتيكان روما، صاحبة توجه صليبي، لها تأثير قوى على صناعة القرار وتوجيهه في الولايات المتحدة، حيث تقوم هذه الأيدلوجية على معتقدات نصرانية أصولية متشددة ومتعصبة. وجماعة فرسان مالطا أبرزهم من السياسيين الأمريكيين، رونالد ريجان، وجورج بوش الأب، رئيسا الولايات المتحدة الأمريكية، وهما من الحزب الجمهوري، وكذلك بريكون بوش الجد الأكبر للرئيس بوش الأبن. انظر موسوعة ويكيبيديا على الانترنت في تعريف الحروب الصليبية.

(٢) سورة التوبة الآية (١٢٢).

٦- إن هذه الدراسة هي تذكرة للمسلمين بموطن الداء والعلة، من باب قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ١٩﴾[١]. كما أنها تحذرهم من تكرار الإصابة بنفس الداء مرة أخرى، عملا بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ﴾[٢]. وعملا بالحديث النبوي الشريف: **"لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين"** [٣].

يقول الشيخ محمد الغزالي-رحمه الله-: (فإن من حق الإيمان علينا أن لا نسأم من تبصرة المسلمين بمواطن الأفعى، وأن نحذرهم بشدة من تكرار الإصابة، خصوصا إذا كان عدوهم قد بدل زيه، وتعلم كيف يخفى شراكه، وكيف يحتال لبلوغ إربه، ويسبق إلى بعض الأذهان أن الاستعمار في طريقه إلى التلاشي، وأن الإنسانية في طور من تاريخها الذي لا يسمح له بالبقاء أكثر مما بقى، وأن ذيوله المتخلفة في أفريقيا وآسيا منتهية لا محالة) [٤].

إن بعض الدعاة والباحثين يغيب عنهم كثير من أحداث التاريخ الإسلامي، خاصة تاريخ الحروب الصليبية والدور التبشيري فيها، وهذا يتطلب قراءة التاريخ الإسلامي بصورة عامة، للاستفادة من الأحداث والتجارب، حتى لا

---

(١) سورة المزمل الآية (١٩).

(٢) سورة النساء الآية (٧١).

(٣) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٦١٣٣) عن أبى هريرة ﷺ.

(٤) الاستعمار أحقاد وأطماع، الشيخ محمد الغزالي صـ٢. ط/ نهضة مصر الرابعة يناير ٢٠٠٥م.

تتكرر الأخطاء مرات عديدة. والقصد من ذلك أن يأخذ المسلمون حذرهم، ويفهموا ما عند خصومهم، ليكونوا على أتم استعداد عند اللحظة الحاسمة.

كما أن قراءة التاريخ ودراسته تضيف للباحث أعمار السابقين، وخبرة واسعة في تغيير الواقع، واستشراف المستقبل. (إن دراسة تاريخ الأمة الإسلامية، وأوضاع كل فرد، له دوره الفعال من تاريخ السابقين وتجاربهم، حتى لا نقع في نفس الأخطاء التي وقعوا فيها، لأن عدونا قد أحسن قراءة تاريخنا، وأمسك بمفاصل الضعف فينا فأخذ يحركها كيف يشاء، وواقعنا خير شاهد على ذلك) (١).

٧- من سنن الله تعالى في الدعوات أن يكون لها خصوم وعداوات، سواء كانوا من شياطين الإنس أو الجن، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ ﴾ (٢).

إن الصدام العسكري سنة من سنن الله في الكون، وهو مستمرة إلى يوم القيامة، فلابد من خير وشر وحق وباطل قال تعالى: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ ﴾ (٣).

---

(١) الحملات الصليبية والأيوبيين بعد صلاح الدين د/ علي محمد الصلابي صـ٤٤٤. ط/ الأندلس الجديدة، الأولى سنة ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.

(٢) سورة الأنعام الآية (١١٢).

(٣) سورة البقرة الآية (٢٥١).

وتعاليم الإسلام دائما تحذر المسلمين من الخصوم والأعداء، وتكشف لهم حقيقة الصراع، لينظروا إلى حقيقة الأمور ومقاصدها، كما أنها تلفت نظرهم إلى عدم الإفراط في الثقة، في التعامل مع الخصوم، قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ﴾(١). وقال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾(٢).

فهي رسالة من الله تعالى إلى عباده المؤمنين بأن يميزوا الصفوف، ويعرفوا العدو من الصديق، وأن يسلكوا طريق الله المستقيم.

الدراسات السابقة:

قامت حول تاريخ الحروب الصليبية، وأسبابها، وماهيتها وأحداثها، ونتائجها، وآثارها، كما رآها العرب والغرب، دراسات تاريخية كثيرة، بل موسوعات علمية كبيرة مثل: الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية، في أربعين مجلدا(٣).

وقامت أيضا حول التبشير، جذوره، ودوافعه، وأهدافه، ووسائله، وآثاره، دراسات كثيرة، ما بين كتب، وبحوث، ورسائل علمية في الجامعات الإسلامية.

---

(١) سورة البقرة جزء من الآية (٢١٧).

(٢) سورة البقرة جزء من الآية (١٢٠).

(٣) تأليف وتحقيق وترجمة د/سهيل زكار/ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا ١٩٩٩م.

لكنى لم أعثر-فيما أعلم- على كتاب أو بحث مستقل، يجمع بين الطرفين معا، أي بين الحروب الصليبية، ودور القساوسة التبشيري فيها، إلا أفكارا قليلة جدا، مبثوثة ومتناثرة في ثنايا الكتب والبحوث، لا تشكل موضوعا مستقلا، ولا بحثا قائما بذاته، فما كتب عن الموضوع هو دراسات تاريخية تعتني بسرد الجانب التاريخي والعسكري، منها ما هو قديم، ومنها ما هو حديث، وهناك كتب أجنبية منها ما هو معرب، ومنها ما بقي على حالته دون تعريب، وهذه الكتب السابقة لم تتعرض بشكل مباشر للجانب التبشيري في الحروب الصليبية.

ومن ثم كانت هذه المشاركة بهذا البحث المختصر، لإبراز العلاقة بين الطرفين، والدور التبشيري للقساوسة ورجال الدين النصراني في الحروب الصليبية، سواء كان في الجانب العسكري، أو الجانب الفكري، كما أنها تربط بين فشل الحروب الصليبية في تحقيق أهدافها، وبين بداية ظهور الغزو الفكري وأهدافه وتطوره.

صعوبات البحث:

يعد عنوان هذا البحث من الموضوعات الجديدة التي لم يسبق أحد من الباحثين في الكتابة فيها -فيما أعلم- ومن ثم لم أعثر على مصدر أو مرجع مباشرة في الموضوع لمادة البحث، بل أحيانا كنت أعبر كتبا ومجلدات عديدة، ذات صلة بالحروب الصليبية، قراءة وبحثا وتنقيبا عن معلومة مباشرة، لكن كثيرا كنت أعود بلا فائدة، كمن يطلب اللؤلؤ في الصحراء، يعود صفر اليدين، خائب الرجاء.

منهج البحث:

التزمت في هذه الدراسة منهجا تبدو معالمه فيما يلي:

١- تنتمي هذه الدراسة إلى حقل الدراسات التاريخية، وقد قمت باتباع المنهج الوصفي التحليلي حيث جمعت من تاريخ الحروب الصليبية كل ما له صلة بدور القساوسة التبشيري، ثم قمت بالتعليق والربط بين الأحداث قدر المستطاع، ملتزما الموضوعية والحياد.

٢- عزو الآيات القرآنية إلى مواضعها، وتخريج الأحاديث النبوية من مظانها من كتب السنن.

٣- التعريف بالأعلام والأماكن الواردة في البحث على قدر الاستطاعة.

٤- الرجوع إلى المصادر العربية والأجنبية المترجمة، حتى يكون هناك توازن وموضوعية في نقل الأحداث وتصويرها.

٥- التعريج اليسير على بعض الموضوعات التي لها صلة غير مباشرة بصلب الموضوع، وذلك باختصار شديد، وأحيانا أضمنها في الهامش، وذلك لاستكمال الصورة، وحتى لا يبعد البحث عن مساره أو مجراه الطبيعي.

خطة الدراسة:

اشتملت هذه الدراسة على مقدمة وتمهيد وسبعة مباحث وخاتمة.

فأما المقدمة... فتشتمل على أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، والصعوبات التي واجهت الباحث، ومنهج البحث، وخطة الدراسة.

وأما التمهيد فيتناول التعريف بعنوان ومصطلحات الموضوع،

وأما الموضوع فقد اشتمل على سبعة مباحث وهي:

المبحث الأول: نبذة مختصرة عن أوضاع العالم الإسلامي وأوربا قبل الحروب الصليبية.

المبحث الثاني: دور القساوسة والكنيسة في أسباب الحروب الصليبية.

المبحث الثالث: أهداف الحروب الصليبية.

المبحث الرابع: دور القساوسة التبشيري أثناء المعركة وبعدها.

المبحث الخامس: أهم شبهات القساوسة والمنصرين حول الإسلام.

المبحث السادس: الحروب الحديثة والمعاصرة حروب صليبية.

المبحث السابع: كيف نتصدى للغزو الفكري وحملات التنصير؟.

وأما الخاتمة فقد تحدثت فيها عن نتائج البحث وأهم التوصيات التي يستفاد منها في ميدان الدعوة الإسلامية.

كما زيلت البحث بقائمة تشتمل على أهم المراجع التي اعتمدت عليها، وفهرس عام لموضوعات البحث والدراسة.

والحمد لله أولا وآخرا الذي بنعمته تتم الصالحات.

❁❁❁

التمهيد

التعريف بعنوان ومصطلحات البحث.

قبل الدخول في تفاصيل هذا الموضوع، تجدر الإشارة إلى التعريف بالمصطلحات المستخدمة في العنوان، وهي دور، القساوسة، التبشيري، الحروب الصليبية.

كلمة دور تعنى: (الحركة، والجمع: أدوار) (١) وكذلك تعنى الوظيفة، والمقصود بها هنا: الحركة والوظيفة التبشيرية التي قام بها القساوسة في الحروب الصليبية.

وكلمة القساوسة: جمع لكلمة القس (والقس هو: رئيس من رؤساء النصارى في الدين، وفى رتبة بين الأسقف والشماس، والقسيس: الجمع قسساوسة، وقساقسة وقسيسون) (٢).

والقس لقب كهنوتي، ودرجة من الدرجات المعروفة في التدرج الكنسي-(١) واستخدم القرآن الكريم هذا المصطلح في قوله تعالى: (ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون) (٢).

---

(١) معجم النفائس الكبير، إعداد جماعة من المختصين صـ٦٢١ ط/ دار النفائس الأولى ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م.

(٢) المعجم الوسيط، لمجمع اللغة العربية ٢/٧٤٠، ط/ مجمع اللغة العربية بالقاهرة. ط/ الثالثة سنة ١٤٠٥هـ – سنة ١٩٨٥م.

التبشير في اللغة:

مأخوذ من البشارة وهي تعنى: (الخبر السار لا يعلمه المخبر به) (٣).

وحينما تطلق يقصد بها التبشير بالنصرانية بين غير النصارى، وهي كلمة وردت في الأناجيل القديمة المعتمدة والمتداولة عند النصارى، وأصبحت مشهورة ومنتشرة بين العامة والخاصة، فيعتقد النصارى أن التبشير بالمسيحية جاء في الأناجيل، حيث يكلف معتنقي هذه العقيدة أن ينطلق بها مبشرا في كل أنحاء العالم، ففي إنجيل متى: (فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الآب وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ وَعَلِّمُوهُمْ أَنْ يَحْفَظُوا جَمِيعَ مَا أَوْصَيْتُكُمْ بِهِ) (٤).

وجاء في إنجيل مرقس: (اذْهَبُوا إِلَى الْعَالَمِ أَجْمَعَ وَاكْرِزُوا بِالإِنْجِيلِ لِلْخَلِيقَةِ كُلِّهَا. مَنْ آمَنَ وَاعْتَمَدَ خَلَصَ، وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ يُدَنْ) (٥).

---

(١) درجات السلم الكنسي عند النصارى: الشَمَّاس وهو خادم الكنيسة المسيحية، وهي أدنى الرتب الكهنوتية الثلاثة في الكنيسة وتعلوها على الترتيب رتبة (القسيسية) وهو كاهن الكنيسة والاب الروحي لشعب المؤمنين، وهي ثاني الرتب في الرتب الكهنوتية المسيحية (اكليروس) وعموما طائفة الإكليروس ثلاث رتب وهي: ١- رتبة الشمامسة ٢- رتبة القسيسية ٣-رتبة الأسقفية، وفي رتبة الشمامسة خمس درجات وهي كما يلي بالترتيب التصاعدي: الإبصالتيس- الأغنسطس – الإيبوذياكون – ذياكون- أرشيذياكوزن. وفي رتبة القسيسية ثلاث درجات وهي: القس – القمص – الخوري إبسكوبس. وفي رتبة الأسقفية ثلاث درجات وهي: الأسقف – المطران – البطريرك. انظر موسوعة ويكيبيديا على النت.

(٢) سورة المائدة الآية (٨٢).

(٣) المعجم الوسيط ٨٥/١.

(٤) إنجيل متى ٢٨ (١٩).

(٥) إنجيل مرقس ١٦ (١٥-١٦).

وكلمة التبشير فيها من التعمية والتمويه على المسلمين، فأي خير يوجد في الديانة النصرانية بصورتها الحالية، حتى يقوموا بنشرها بين المسلمين.

والحقيقة أن كلمة التبشير لفظ مشترك يمكن أن يطلق على جميع الدعوات، أو الرسالات التي تدعو الآخرين، فاليهودي إذا دعا إلى اعتناق اليهودية فهو مبشر باليهودية، والنصراني إذا دعا إلى اعتناق النصرانية فهو مبشر بالنصرانية، والمسلم إذا دعا إلى الإسلام فهو مبشر بالإسلام، ومن ثم فالكلمة بهذا المفهوم ليست حكرا على النصرانية فحسب، بل يمكن أن تكون مصطلحا عاما يطلق على جميع الدعوات من وجهة نظر أصحابها.

وأرى أن التعبير الدقيق والصريح هو (التنصير) في مثل هذه الدراسات أولى، حتى يوافق اللفظ مضمونه في صراحة ووضوح، ويستطيع أن يفهمه العامة قبل الخاصة.

كما أن السيد المسيح عليه السلام كان يبشر بدعوته بين اليهود فقط، وليس بين غيرهم، وبولس هو الذي ساهم في تحويل النصرانية من ديانة إقليمية محلية إلى ديانة عالمية، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾[1].

(١) سورة الصف الآية (٦).

التبشير في الاصطلاح:

يقصد بالتبشير عند النصارى: (الدعوة إلى النصرانية بين أبناء الديانات الأخرى، أو في أوساط الوثنيين واللادينيين) (١).

ويقصد بالتبشير عند المسلمين أنه: (حركة دينية سياسية استعمارية، بدأت بالظهور إثر فشل الحروب الصليبية، بغية نشر النصرانية بين الأمم المختلفة في دول العالم الثالث، وبين المسلمين بخاصة، بهدف إحكام السيطرة على تلك الشعوب) (٢).

ويستفاد من ذلك أن التبشير حركة مستمرة، فيها جهد بشرى دؤب، له دوافع متعددة، وأهداف واضحة، كما أنها حركة متجددة في الوسائل والأساليب، وتستخدم الجانب العسكري والفكري، بقصد السيطرة وإخضاع الأخرين له.

التعريف بالحروب الصليبية:

والصليبية: نسبة إلى الصليب، وكان الصليب يمثل طريقة للقصاص لدى أمم كثيرة بتعليق (الضحية) المتهم على الصليب، وربط اليدين والرجلين به، أو بصورة أفظع بتسمير الجسم بمسامير عن طريق الأجزاء اللحمية، وكان الصليب سواء قبل المسيح عليه السلام أم بعده علامة الذل والعار، وحمل الصليب كان يعنى حمل

---

(١) معركة المصطلحات بين العرب والإسلام د/ محمد عمارة صـ٦ ط/ مكتبة نهضة مصر/ القاهرة سنة ١٩٩٧.

(٢) الموسوعة الميسرة في المذاهب والأديان المعاصرة ٦٦٥/٢ نشر دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع الرياض سنة ١٤٢٠هـ.

الإهانة، ولكن بعد آلام يسوع صار أتباعه ينظرون إلى الصليب نظرة مختلفة بالكلية[١].

ويقال: صلّب النصراني أي اتخذ صليبا، ورسم بالإشارة على صدره ووجهه صليبا، وفى التنزيل: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾[٢].

وقد افتخر بولس بصلب المسيح الذي تم فيه الفداء، حيث يقول بولس في رسالته إلى أهل غلاطية: (أما أنا فحشانا أن أفتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح الذي به صلب العالم لي وأنا صلبت للعالم)[٣]. وجاء في إنجيل لوقا: (وَمَنْ لاَ يَحْمِلُ صَلِيبَهُ وَيَأْتِي وَرَائِي فَلاَ يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ لِي تِلْمِيذًا) [٤].

وأما كلمة الصليبي فهي تعنى: (من يدين بعقيدة الصلب للسيد المسيح، والصليبيون: جيوش من نصارى أوربا، غزت الشرق الإسلامي مرارا في أثناء القرون الحادي عشر، والثاني عشر، والثالث عشر، للاستيلاء على بيت المقدس وما حوله) [٥]. (بدأت الحروب الصليبية في ربيع الثاني من ٤٩١ هـ، في مارس

(١) قاموس الكتاب المقدس/ مجموعة مؤلفين/ صـ٥٤٥-٥٤٦ منشورات مكتبة المشعل ط/ السادسة سنة ١٩٨١م.

(٢) المعجم الوسيط ٥٢١/١. والآية من سورة طه (٧١).

(٣) رسالة بولس إلى أهل غلاطية ٦ (١٤).

(٤) إنجيل لوقا ١٤ (٢٦-٢٧).

(٥) المعجم الوسيط ٥٢١/١-٥٢٢.

من سنة ١٠٩٨ م، وانتهت في شعبان من سنة ٦٩٠هـ، أغسطس من سنة ١٢٩١م)[١].

(فهذان القرنان يمثلان الدور النشط في الحروب الصليبية، فما جرى قبلهما يعد مقدمات لهذه الحروب، وما صار بعدهما فهو من تبعاتها وآثارها) [٢].

(تصالح المؤرخون على إطلاق مسمى الحروب الصليبية على الحملات الاستعمارية الصليبية التي ولدت في غرب أوروبا، واتخذت شكل هجوم مسلح على بلاد المسلمين، في الشام والعراق ومصر وتونس، لاستئصال شأفة الإسلام والمسلمين والقضاء عليهم، واسترجاع بيت المقدس، وجذور هذه الحركة نابع من الأوضاع الدينية والاجتماعية والفكرية والاقتصادية والسياسية التي سرت في غرب أوروبا في القرن الحادي عشر، واتخذت من الدين وقودا لتحقيق أهدافها)[٣].

والحقيقة إن تسميتها بالحروب الصليبية جاء متأخرا عن فترة بدايتها، فكان لها من قبل النصارى مسميات، ومن قبل المسلمين مسميات أخرى.

---

(١) الحركة الصليبية د/سعيد عبد الفتاح عاشور ١١٢٦/٢ ط/ القاهرة مكتبه الأنجلو المصرية سنة ١٩٧٦ م.

(٢) أوربا في العصور الوسطى د/ سعيد عبد الفتاح عاشور ٤٣٧/١. مكتبه الأنجلو المصرية، ط/ العاشرة ١٩٨٦م.

(٣) تاريخ الحروب الصليبية محمود سعيد عمران صـ١٥. دار النهضة العربية ط/ الثانية ١٩٩٩م.

فمن قبل النصارى كانت تسمى: الحرب المقدسة، الرحلة إلى الأرض المقدسة، حجاج بيت المقدس، الحملة العامة، حملة الصليب، مشروع يسوع المسيح.

وأما من قبل المسلمين فكانوا يسمونها: حرب الإفرنج أو الفرنجة، أو الكفار، والمؤرخون المسلمون الذين عاصروا أحداث هذه الحروب كانوا يستخدمون مصطلح حركة الإفرنج[1].

ومما سبق يتبين أن المقصود بعنوان هذه الدراسة هو: معرفة دور للقساوسة ورجال الدين من النصارى، في العمل على التبشير والتنصير في المجتمعات الاسلامية، في أثناء فترة الحروب الصليبية وأحداثها.

❁❁❁

(١) انظر ماهية الحروب الصليبية د/ قاسم عبده قاسم صـ٩-١٠ باختصار، ط/ سلسلة عالم المعرفة بالكويت عدد رقم ١٤٩، صدر في مايو ١٩٩٠.

المبحث الأول

نبذة مختصرة عن أحوال العالم الإسلامي والغربي (أوروبا) قبل الحروب الصليبية.

نبذة مختصرة عن العالم الإسلامي قبل الحروب الصليبية:

لا شك أن الهزيمة التي نزلت بالمسلمين أمام الحملة الصليبية الأولى، كانت نتيجة انعكاس لما كان يسود المجتمع من أوضاع اجتماعية، وسياسية، واقتصادية، واتجاهات وأفكار، فالهزائم والنكسات إنما تحل بالنفوس وما تحمل من أفكار وتصورات، قبل أن تحل بالمجتمعات بما تحمل من علل وأمراض، وتلك سنة من سنن الله تعالى في الكون والنفس لا تتغير ولا تتبدل، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾[1].

وحينما نعود إلى واقع المسلمين قبل قدوم الحملات الصليبية نجد أن العالم الإسلامي كان يمر بظروف صعبة، فكان منقسما إلى دول متعددة، وإلى دويلات متصارعة، وكانت أحواله مضطربة، خاصة في السنوات التي سبقت مجيء الحملات الصليبية، ووصل الحال بالخليفة إلى أنه أصبح اسما ورمزا للخلافة فقط، وكانت الأمور تدار بيد الوزير البويهي[2].

---

(١) سورة الأنفال الآية (٥٣).

(٢) انظر الكامل في التاريخ للشيباني ١٦٠/٧ تحقيق د/ عمر عبد السلام. ط/ دار الكتاب العربي بيروت ط/ الأولى ١٩٩٧م. وانظر البداية والنهاية لابن كثير ١٨٥/١١ تحقيق د/أحمد أبو ملحم وآخرون. ط/ دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

ولقد دفع هذا الوضع الخليفة العباسي لكي يستنجد بالسلاجقة، الذين وصلوا إلى بغداد، وأعادوا هيبة الخلافة العباسية، لكنها لم تدم طويلا، حيث تفككت إلى مجموعة من الدول.

ثم حاول الخليفة المسترشد أن يعيد للخلافة مكانتها وهيبتها (فطالب بإنشاء جيش مستقل تابع للخلافة، إلا أن السلطان محمود السلجوقي رفض تلك المطالب، وزحف على رأس جيش كبير، ودخلوا دار الخلافة، وعاثوا فيها الفساد والنهب، مما أجبر الخليفة على عقد الصلح مع السلطان والاعتذار له) [١].

وكانت مصر وشمال إفريقيا خاضعين للدولة العبيدية، وأنشأت لها خلافة في القاهرة لتكون منافسة للخلافة العباسية في بغداد، واستمرت هذه الدولة ما يزيد على أكثر من قرنين من الزمن من سنة ٣٥٨هـ-٥٦٧هـ إلى أن أزالها صلاح الدين الأيوبي-رحمه الله-[٢].

كان الشيعة يسعون بقوة إلى نشر المذهب الشيعي، مصادمين الخلفاء العباسيين وعامة المسلمين، الذين كانوا على المذهب السني، وكثيرا ما كانت تقع المصادمات بين السنة والشيعة بسبب ذلك، بالإضافة إلى مجاهرتهم بالبدع، خاصة الفرق الباطنية، مثل الإسماعيلية والنصيرية والدروز، وقيامهم باغتيال العلماء والأمراء. يقول الإمام ابن تيمية:(وهم مع كل عدو للمسلمين، ومن أعظم مصائبهم

(١) البداية والنهاية لابن كثير ١٩٧/١٢. وانظر الكامل في التاريخ ٣٢١/٨.
(٢) الكامل في التاريخ ٣٦٤/٩.

انتصار المسلمين، وفرحهم واستبشارهم باستيلاء النصارى على البلاد الإسلامية) [١].

وسئل أيضا شيخ الإسلام ابن تيمية عن الإسماعيلية وما تفرع منها فأجاب: (إن هؤلاء وسائر أصناف القرامطة أكفر من اليهود والنصارى، بل أكفر من كثير من المشركين، وضررهم على الأمة الإسلامية أعظم من ضرر الكفار المحاربين، مثل كفار التتار والفرنج وغيرهم، فإنهم يتظاهرون بالتشيع وموالاة أهل البيت، وهم في الحقيقة لا يؤمنون بالله ولا برسوله ولا بكتابه، ولا بأمر عن معروف، ولا نهي عن منكر، ولا ثواب ولا عقاب، ولا جنة ولا نار، ولا بأحد من المرسلين قبل محمد ﷺ) [٢].

ولم تكن هذه الدولة العبيدية بأحسن حال من الخلافة العباسية، بل كانت شؤونها مضطربة، خاصة قبل مجيء الصليبيين إلى العالم الإسلامي.

كما ظهرت دولة المرابطين في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري، واكتسحت شمال إفريقيا والمغرب العربي، بعد حروب طاحنة مع دول هذه المنطقة [٣].

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية/ جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم ١٥٠/٣٥. ط/ الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، بالمدينة المنورة.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٤٩/٣٥ وانظر هذه الصفحات ١٥١/٣٥-١٥٢-١٥٥-١٦٢.

(٣) الكامل في التاريخ ١٣٤/٨.

وأما عن واقع الحكام فكانت حياة الأمراء والسلاطين مليئة بالبذخ والإسراف، والتبذير والجشع، إلى أقصى درجة، فكان الأمراء ينهبون أموال الدولة، ويعتبرون ذلك أمرا عاديا.

ذكر ابن كثير بعض الإحصائيات لما وجد في بيت العاضد أحد خلفاء الدولة الفاطمية: (من الحواصل والأمتعة والملابس والمفارش شيء باهر، ومن ذلك سبعمائة يتيمة من الجوهر، عدا الزمرد والياقوت، واستمر بيع محتويات القصر نحوا من عشر سنين، وأرسل السلطان صلاح الدين هدايا نفيسة لخليفة بغداد، والملك نور الدين محمود، ولم يدخر لنفسه شيئا مما حصل له من الأموال) [١].

أما الأندلس فكانت تعيش في تلك الفترة، في عصر ملوك الطوائف، قال ابن الأثير: (إن الأندلس اقتسمه أصحاب الأطراف والرؤساء، فتغلب كل إنسان على شيء منه، فصاروا مثل ملوك الطوائف، وكان ذلك آخر شيء على المسلمين، فأطمع بسببه العدو الكافر) [٢].

ويعد من أهم الأمور الرئيسة في ضعف المسلمين في بلاد الأندلس، تولي الأمراء النصارى، وفرط الثقة بهم، والتحالف معهم، الذي اضطرب بسببه مفهوم الولاء والبراء، حتى إن بعضهم استوزر وزراء من اليهود والنصارى لتصريف أمور الدولة، مما ترتب عليه التدرج في الانهيار، ثم الخروج من الأندلس إثر خطط محكمة، قام على تنفيذها ملوك الغرب.

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٢٦٦/١٢.

(٢) الكامل في التاريخ ١٣٤/٧.

ومن أهم النوازل التي لحقت بالمسلمين في الأندلس قبل إخراجهم منها ما وقع في (عام ٤٧٨هـ حيث سقطت طليطلة بيد النصارى الأسبان، الذين هددوا أملاك ابن عباد فدفع لهم الإتاوة، ثم استعان بيوسف بن تشافين لإعادة ملكه)[١].

ومما زاد المسلمين ضعفا في هذه الفترة، هو كثرة النزاع، والحروب الداخلية المستمرة، بين الولاة والسلاطيين، فلم يستطيعوا أن يتوحدوا أمام هذا الزحف الصليبي القادم، أو يصدوا هجماته الأولى، بالإضافة إلى سوء الأحوال الداخلية، وضعف الأمن، وترويع الآمنين، وكثرة السرقة والسطو، وقطع الطريق، وانتشار الفوضى والاضطراب، بسبب ضعف الحكام، وكثرة النزاعات والخلافات الداخلية.

نبذة مختصرة عن أوربا قبل الحروب الصليبية:

كانت الإمبراطورية الرومانية مسيطرة على أجزاء كبيرة من أوربا، ولها نفوذ كبير، وكانت هناك حروب داخلية كثيرة في معظم دول أوربا، وكان هناك صراع بين الأباطرة والبابوات، بسبب ضعف نفوذ البابا وقوة نفوذ الأباطرة[٢].

وكانت هناك حالة من الفوضى في الحياة الدينية، حيث انتشر الفساد في الكنيسة بين رجال الدين، فكانت المناصب الدينية تشترى بالمال، وقيام رجال الدين بالزواج مخالفين تعاليم الكنيسة، وتدخل الحكام في شؤن الكنيسة، وتعيين

---

(١) التاريخ الإسلامي محمود شاكر ٢٢٧/٦ بتصرف. طبعة/ المكتب الإسلامي الثالثة ١٤٢١هـ/٢٠٠٠ م.

(٢) انظر أوربا في العصور الوسطى د/ سعيد عبد الفتاح عاشور ٢٨٨/١.

رجال الدين في مناصبهم. وقد أدى هذا إلى نزاع بين البابوية والإمبراطورية، فدخلوا أحيانا في صدامات أو حروب، وانتهى الأمر في النهاية إلى السلطة البابوية، وذلك لتأييد عامة الشعب للكنيسة، وميولهم إلى الجانب الديني[١].

فالحروب الصليبية تعد طورا من أطوار الصراع التي خرجت منها الحروب، من مرحلة المحلية داخل أوربا إلى مرحلة العالمية مع العالم الإسلامي.

ومما ساد في أوربا قبيل الحروب الصليبية الشعور بقرب نهاية العالم، مع نهاية القرن العاشر الميلادي، وقرب قيام القيامة، مما دفع كثيرا من الناس إلى التوبة، والتكفير عن الذنوب، والعودة إلى الكنيسة، والذهاب إلى بيت المقدس، لأداء الحج، واستغلت الكنيسة هذه العاطفة، وتوجيهها نحو الحروب الصليبية[٢].

وأما عن تركيبة المجتمع من الناحية الاجتماعية فلقد كان المجتمع الأوربي يتكون من ثلاث طبقات، وهم طبقة رجال الدين، وهي الطبقة المقدمة في المجتمع بحكم نفوذ البابا والكنيسة، فكانت تعيش حياة من السعة والنعيم، بسبب ارتفاع مواردها، وطبقة المحاربين من النبلاء والفرسان، وهم الذين يمتلكون القصور والضياع، ويعيشون على حساب الطبقة الثالثة، وطبقة الفلاحين والمزارعين، وهم المسخرون في خدمة الإقطاع، سواء في العمل في أرضه، أو قضاء مصالحه، كما أنه موضع تحكم من الإقطاعيين في كل شيء[٣].

---

(١) انظر أوربا في العصور الوسطى د/سعيد عبد الفتاح عاشور ٣٩٥/١.

(٢) انظر ماهية الحروب الصليبية د/ قاسم عبده قاسم صـ١٨-٢٠.

(٣) انظر أوربا في العصور الوسطى د/ سعيد عبد الفتاح عاشور ٢٧٩/١-٢٨٠.

كان القساوسة والكنيسة هم المسيطرون على كل شيء في أوروبا، حيث إن تأثيرهم تعدي الناحية العقائدية إلى غيرها من نواحي الحياة، حيث كان لها موارد مالية كبيرة، وإقطاعيات واسعة، وفرق عسكرية، وبلغ من قوتهم أن لديهم القدرة على سحب الثقة من الملوك والأمراء مما يفقدهم سيطرتهم على شعوبهم، (وكان من حق البابا أن يفرض الضرائب على رعايا الملوك لتحويلها إلى روما، مستخدما صكوك الغفران كوسيلة للضغط على معارضيه، وكان سلطانها يقوى مع الانتصارات ويضعف مع الهزائم) (١).

هذه صورة عامة ومختصرة، لحالة أوربا وأحوالها المختلفة، تعكس مدى سيطرة رجال الدين والكنيسة على الحياة العامة قبل الحروب الصليبية. أنهم الطبقة المتميزة التي تملك صنع القرار والفصل في الأمور.

نبذة مختصرة عن الحملات الصليبية:

حملة الفقراء: هي مقدمة للحملة الأولى، قام بها الفقراء وقليل من الفرسان، تحت زعم الخلاص الكنسي، وكذا الفوز بالغنائم، وقاد هذه الحملة بطرس الناسك، واندفعت هذه الجموع نحو القسطنطينية، وخلفت وراءها خرابا ودمارا ونهبا وسرقة، وقد سحقهم المسلمون السلاجقة في أكتوبر سنة ١٠٩٦م وكان عدد الصليبين خمسة وعشرين ألف رجل.

---

(١) قصة الحضارة ول ديورانت ٦٦/٤.

(كان ولتر المفلس من بين القتلى، وأما بطرس الناسك فكانت نفسه قد اشمأزت من هذه الجموع التي لا تخضع لقيادة، وعاد قبل المعركة إلى القسطنطينية، وأقام فيها سالما حتى مات عام ١١١٥م)[١].

الحملة الأولى: تحركت في أغسطس ١٠٩٦م وقادها (جودفري دي بويون الرابع)[٢] مع بعض الأقارب والأتباع، ووصلت إلى القسطنطينية وأقامت عدة ممالك صليبية على المدن التي استولوا عليها، مثل الرها، وانطاكيا، وطرابلس، وبيت المقدس.

والسبب الرئيسي في هزيمة المسلمين أمام هذه الحملة، النزاع السائد بين رؤساء وأمراء المجتمع الإسلامي، والفرقة والاختلاف والتقاتل الداخلي، والأنانية والفردية والخلافات الداخلية بين السلاجقة الأتراك بالأناضول، والفاطميين بالقاهرة، كما فشلت كل المحاولات التي بذلت لاسترداد المدن المحتلة السابقة، بالإضافة إلى غياب الشخصية القائدة المجمعة للمسلمين جميعا.

---

(١) قصة الحضارة ول ديورانت ١٥/٢٠.

(٢) (اختار جودفري بوابون أن يلقب بلقب ديني يدل على تواضعه، وهو حامي بيت المقدس، ورفض أن يلبس تاجا من الذهب والمجوهرات في بلد لبس فيه المسيح تاجا من الشوك، وقد أراد هذا الرجل أن يظهر بشكل الرجل المتدين جدا، ليجمع بين صفات الملوك، وصفات القساوسة) قصة الحروب الصليبية د/ راغب السرجاني صـ١٥٦-١٥٧. ط/الثانية مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع والترجمة ٢٠٠٩م.

قال أحد الكتاب الغربيين (وعظم سلطان الكنيسة وعلت مكانتها إلى أبعد حد بسبب الحملة الصليبية الأولى، ثم أخذت تضعف تدريجيا بسبب الحملات التي تلتها) (١).

وبالرغم من نجاح الحملة الأولى، إلا أنه كانت هناك مواقف صعبة على الكنيسة منها: (الكنيسة منيت في الأيام الأخيرة بضربتين كبيرتين، أما الأولى فهي وفاة المندوب البابوي المصاحب للحملة أدهمار، الذي توفي في أنطاكية، والضربة الثانية كانت وفاة البابا أوربان الثاني الذي حرك الجموع لهذه الحرب، ولاشك أن حميته للقضية كانت أشد من حمية البابا الجديد باسكال الثاني)(٢).

الحملة الثانية: بدأت سنة ١١٤٨م كان قائدها لويس السابع ملك فرنسا، وبعض ملوك أوربا، تعرض فيها الصليبيون لضربات قوية موجعة من القوات السلجوقية، ثم عاود الصليبيون الكرة، وحققوا بعض الانتصارات.

وفي يوليو ١١٨٧م انتصر السلطان صلاح الدين الأيوبي قائد مصر والشام على الصليبين، في معركة حطين الفاصلة، وحرر بيت المقدس من أيدي الصليبين بعد غياب ما يزيد على تسعين عاما.

---

(١) دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية د/ سليمان بن عبد الله بن صالح الرومي ٢/٢٧٢. ط/ مكتبة الرشد ط/ الأولى ١٤٢٨-٢٠٠٧م.

(٢) قصة الحروب الصليبية من البداية إلى عهد عماد الدين زنكي د/راغب السرجاني صـ١٥٤. وانظر ماهية الحروب الصليبية د/قاسم عبده قاسم صـ١٣١.

الحملة الثالثة: في ١١٨٧م دعا البابا (غريغوريوس) الثامن إلى حملة صليبية جديدة ثالثة، ردا على استرداد صلاح الدين لبيت المقدس، وكانت بقيادة ملوك فرنسا وإنجلترا وألمانيا.

حاصر الصليبيون عكة واستسلمت، وباءت كل المحاولات العسكرية بالفشل من الصليبيين، وانتهت بعقد الصلح بينهم وبين صلاح الدين، وسمح لهم صلاح الدين بزيارة القدس والأماكن المقدسة.

الحملة الرابعة: في ١٢٠٢م دعا البابا (إينوقنتوس) الثالث وكانت الخطة أن تتجه إلى مصر، ومنها إلى بيت المقدس، لكنها وجهت إلى القسطنطينية، ووقع تخريب ودمار.

وفي ١٢١٢م حدثت حملة طفولية وكانت شبيهة بحملة الفقراء الأولى، حيث كانت تقوم على الفقراء والعبيد، والتعبير عنها بالطفولية كناية عن الاستخفاف بها، وقيل: كان بها أعداد كبيرة من الأطفال.

الحملة الخامسة: في ١٢١٣م سعى البابا إينوشنت يوس الثالث إلى بدء حملة صليبية جديدة، بعد حملة وعظ في المجمع اللاتيني الرابع ١٢١٥م وتحركت القوات المجرية والألمانية والنمساوية إلى عكة ودمياط، ووصلوا إلى المنصورة وقت فيضان النيل، وفتح المسلمون السدود، وقطعوا عليهم طريق العودة، فغرق منهم أناس كثيرون، ووقعوا الصلح على المغادرة، بعدما منيت حملتهم بالفشل الذريع.

الحملة السادسة: في سنة ١٢٢٨م لم تكن هذه الحملة مسيرة من قبل البابا، ولا بمباركته وإنما سارت بقيادة، (فريدريك الثاني) الألماني، وكانت هنالك مفاوضة بين هذا القائد، والسلطان الكامل، على صلح لمدة عشر سنوات، تنازل بمقابل ذلك السلطان عن القدس.

الحملة السابعة: في ١٢٤٨م كانت بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا، حيث توجهوا إلى مصر، فسيطروا على دمياط ثم توجهوا إلى المنصورة، فتصدى لهم أهل المنصورة بقيادة توران شاه والمماليك، ونجحوا في تدمير قوتهم، وحاصروا الباقي حتى استسلموا، ووقع لويس التاسع في الأسر، وسجن في دار القاضي ابن لقمان، وتمت فديته سنة ١٢٥٩م وعاد إلى عكة ثم بعدها إلى فرنسا.

الحملة الثامنة: في سنة ١٢٧٠م عاد لويس التاسع ملك فرنسا بحملة جديدة نحو تونس، وكانت مفاجئة لأتباعه، حيث حاول المفاوضات مع أميرها المستنصر، لكنها باءت بالفشل. ودب وباء بين صفوف الفرسان، توفي على أثره الملك وأفراد عائلته، وواصل أخوه بعض المعارك ضد قوات أمير تونس نجح فيها، ثم وقعت معاهدة صلح، على أن يدفع أمير تونس الجزية مضاعفة ثم غادر الصليبيون تونس بعد ذلك إلى غير رجعة[١].

---

(١) يراجع في تفاصيل الحروب الصليبية، التاريخ الإسلامي، أ/ محمود شاكر ٦/٢٥٥- ٢٥٧ ط/ المكتب الإسلامي الخامسة سنة ١٤١١هـ ١٩٩١م. وماهية الحروب الصليبية د/ قاسم عبده قاسم صـ٨٩-١٣٣. والحروب الصليبية في المشرق والمغرب محمد العروسى المطوي صـ٢٧-١٠٦ ط/ دار الكتب الشرقية تونس بدون تاريخ. ودار الغرب الإسلامي ١٩٨٢. وقصة

وخلاصة القول في الحملات الصليبية إنه توجهت أربع من الحملات إلى الأراضي المقدسة وهي، الأولى والثانية والثالثة والسادسة، واثنان إلى مصر- الخامسة والسابعة، وواحدة إلى القسطنطينية وهي الرابعة، ونزلت الثامنة شمال إفريقيا في تونس. ونجحوا في الحملة الصليبية الأولى، وباقي الحملات باءت بالفشل الذريع.

❁❁❁

الحروب الصليبية من البداية إلى عهد عماد الدين زنكي د/راغب السرجاني ط/الثانية مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع والترجمة ٢٠٠٩م.

المبحث الثاني

دور القساوسة والكنيسة

في أسباب الحروب الصليبية.

لاشك أن الحروب الصليبية لم تأت من فراغ، ولم تقع من وحى الخيال، وإنما سبقتها عدة أحداث، ساهمت في إشعالها، وكانت مقدمة قوية دفعت الصدام العسكري إلى أقصى درجاته، كما أنها ليست وليدة دافع واحد، وإنما يقف وراء أحداثها أسباب متعددة، ودوافع مختلفة، منها ما هو ديني، ومنها ما هو سيأسى، ومنها ما هو استعماري، ومنها ما هو اقتصادي وتجارى، ومنها ما هو اجتماعي، وكل ذلك له ما يؤيده من الشواهد والأدلة، في ضوء أحداث الحروب الصليبية، وكتابات المؤرخين.

ولا يستطيع أي باحث أن يحصر أسبابها في الدافع الديني فقط، وإن كان هذا هو السبب الرئيسي الظاهر، خاصة أنها تسمى بالحروب الصليبية، فقامت تحت شعار الصليب، وباسم المسيح عليه السلام رسول المحبة والسلام، وبتحريض من الكنيسة، وغايتها بسط نفوذ الكنيسة على بيت المقدس وما حوله من العالم الإسلامي.

(وقد اختلفت الآراء في تفسير طبيعة الحركة الصليبية والدوافع الكامنة وراءها، فمنها ما هو مادي، ومنها ما هو معنوي، والبعض يرى أنها وليدة الحماس

أو التعصب الديني التي عرفت بها أوروبا في العصور الوسطي، وأن الباعث الحقيقي لتلك الحروب كان في الواقع هو الهوس الديني الممزوج بأغراض أخرى، كالميل إلى تأسيس ممالك جديدة، والحصول على الثروات الطائلة، وقد اعتبر غالبية المؤرخين القدامى والحديثين تلك الحروب أنها حروب دينية، وأن العامل الديني كان الدافع الأساسي وراءها من أجل استعادة قبر المسيح والأراضي المقدسة من أيدي المسلمين، والأخرون يعتبرونها أحد مظاهر التوسع الاقتصادي الاستعماري في العصور الوسطي، وحقيقة الأمر أن الحروب الصليبية كانت نتيجة لتفاعل هذه العوامل مجتمعة، لأنها قامت لأسباب سياسية واقتصادية واجتماعية، واتخذت الدين وقودا أو وسيلة لإخفاء أغراضها المذكورة[١].

ويمكن تناول أبرز وأهم الأسباب الرئيسة التي لها صلة بالجانب الديني، والتي دفعت الغرب للقيام بهذه الحروب فيما يأتي[٢]:

١ - الأحقاد الدينية الدفينة:

لقد لقيت رسالة الإسلام منذ فجرها الأول عداوات شديدة، من أطراف مختلفة ومتباينة، مثل مشركي قريش في مكة، واليهود في المدينة، والنصارى في

---

(١) انظر العدوان الصليبي على العالم الإسلامي/ صلاح الدين نوار صـ 22. بتصرف يسير.

(٢) يلخص د/ سعيد عاشور أبرز الأسباب الرئيسة للحملات الصليبية في ما يأتي:

(١-تثبيت أركان الدولة البيزنطية لأنها حامية الروم من جهة الشرق. ٢- الرغبة في توحيد الكنيستين الشرقية والغربية وإدخال الأولى في حظيرة الثانية ليكون زعيمها البابا. ٣- تأمين طريق الحجاج إلى بيت المقدس-كما يزعمون-من الأتراك السلاجقة). انظر أوربا في العصور الوسطى د/ سعيد عبد الفتاح عاشور ٤٢٦/١.

البلاد المجاورة، التي تقع تحت الحكم الروماني، واستطاع المسلمون أن يحملوا رسالة الإسلام إلى الناس جميعا، ففتح الله قلوب بعضهم لها، وبقيت قلوب البعض مغلقة، لم تقبل هدى الله، بل بقيت حاملة للعداوة والبغضاء، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٧ ﴾(١).

ولقد بين القرآن الكريم تأصل العداوة في نفوس أهل الكتاب، تجاه الإسلام وأهله، فكشف عن طواياهم وخباياهم، وأبلى سرائرهم ونفوسهم، حتى يكون المسلمون على وعى وبصيرة، قال تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ ﴾(٢).

فالصراع بين الحق والباطل قديم قدم الحياة، وهو سنة من سنن التدافع في الكون والمجتمع، والتاريخ القديم يحفل بصور كثيرة من صور الصراع والمواجهات العسكرية، ومبعث الخصومة والعداء بينهم وبين الإسلام إنما هو الحقد الدفين، والحسد البغيض على هذا الدين واتباعه.

فحينما أرسل النبي ﷺ كتبه إلى الملوك والرؤساء ليدعوهم إلى الإسلام، شعر كثير من قادة النصارى بأن الإسلام خطر قادم، ويهدد الوجود النصراني في

(١) سورة البقرة الآيتان (٦-٧).

(٢) سورة البقرة الآية (١٠٩).

الجزيرة العربية وما حولها، ومن ثم ظهر الموقف العدائي من أول وهلة في التصدي لزحف هذا الدين القادم، الذي يعمل على تقلص الديانة النصرانية.

يقول د/ سعد الدين صالح: (لقد كان للامتداد الإسلامي في قلب العالم النصراني أثر كبير في نفوس النصارى، فقد تحررت معظم البلدان العربية التي كانوا يتخذون منها بقرة حلوبا، وفتح المسلمون بيت المقدس وأنطاكيا والرها بل وأصبحوا على مشارف القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطينية، من أجل هذا أعد النصارى عدتهم مرة ثانية، وجاءوا إلى العالم الإسلامي يحاولون إطفاء نار غلهم وحقدهم على هذا الدين الجديد، الذي يسير في الناس مسرى الأمواج الهائجة في مجاريها المعبدة) (١).

فالفتوحات الإسلامية منذ العصر النبوي والراشدين، والتي اتسعت فيما بعد اتساعا كبيرا، هي بداية الصدام بين أتباع الديانتين كما يقول محمد العروسي: (بدء الصراع بين الإسلام والنصرانية كان في فلسطين، وكانت موقعة أجنادين ١٣هـ واليرموك ١٥هـ معارك فاصلة لإزالة النفوذ البيزنطي عن كامل بلاد الشام، ودخول بيت المقدس ١٥هـ تحت حماية الإسلام وسيادته، ثم تتابعت الفتوحات الإسلامية لتشمل مصر وبرقة وإفريقيا والمغرب، التي كانت خاضعة للروم البيزنطيين، ثم تتجاوز ذلك فتعبر المضيق بقيادة طارق بن زياد إلى الأندلس،

(١) احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام د/ سعد الدين صالح صـ٢٠ ط/ دار الأرقم بالزقازيق، ط/ الثانية سنة ١٩٩٢م.

وتزيل النفوذ القوطي المسيحي عنها، وتتقدم الفتوحات الإسلامية إلى ما وراء جبال البرانس وتصل إلى أواسط فرنسا، ثم ازدادت عظمة واتساعا لتشمل معظم جزر البحر المتوسط من رودس إلى صقلية وجنوب شبه جزيرة إيطاليا، كما حاصروا مدينة رومية في محاولة لفتحها، وكذلك القسطنطينية بعدة محاولات، ولكن الإمكانيات لم تسعفهم في تلك الأزمنة الأولى) (١).

لقد كانت العلاقات بين أوربا والشرق المسلم لا تبعث على الطمأنينة، حيث وصل المسلمون في فتوحاتهم إلى جنوب فرنسا في أوربا، خاصة بعدما استقر لهم الوضع في شمال إفريقيا والأندلس، فشعر الغرب بالخطر القادم من الحدود، ومن ثم كانت هذه الحملات بدافع الحماية والدفاع عن الحدود من جهة، ومن جهة أخرى إيقاف الزحف الإسلامي القادم على أوربا.

يقول أ/ محمد العروسي أيضا: (لقد كانت عظمة الفتوحات الإسلامية تحز في نفوس النصارى، ويحملهم على الحقد والبغض للإسلام أكثر مما يحملهم على الإعجاب والخوف منه، ولهذا فإنهم كانوا يتحرقون شوقا إلى اليوم الذي يستعيدون فيه رد الفعل، والأخذ بالثأر، وإعادة النفوذ، والسيطرة علي مناطق غنية بخيراتها المادية والروحية، وإذ كانت النهضة الإسلامية في عنفوانها فلا سبيل إلى الإقدام على مهاجمتها، وينبغي الانتظار حتى تحين الفرصة والوقت المناسب)(٢).

---

(١) الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، محمد العروسى المطوي صـ١٠، ١١. ط/دار الكتب الشرقية تونس.

(٢) الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، محمد العروسي المطوي صـ١٢.

ويمكن القول بإن الأحقاد الدينية الدفينة التي تأصلت في أعماق قلوب الغربيين، بسبب الزحف الإسلامي على أوربا، والفتوحات الإسلامية التي انتزعت منهم بعض الممالك، بالإضافة إلى الخوف من قوة الإسلام المستقبلية، وقدرته الفائقة على الانتشار، والتغلب على خصومه، هي أسباب رئيسة لاندلاع هذه الحرب، فقامت الحروب لتحطيم الإسلام، وكسر شوكته، والقضاء عليه، أو إضعافه، بحيث لا يقوى على المواجهة في المستقبل، فكانوا يستهدفون استعباد شعوب هذه البلاد، وإفساد أخلاقها، حتى لا تقوم لها قائمة في المستقبل.

ومما يدل على أنها حرب دينية صليبية بالدرجة الأولى، أنهم كانوا يستخدمون تعبير ومصطلح الحرب المقدسة، وكانوا يخيطون الصلبان القماش على الجانب الأيمن من ملابسهم(١).

هناك تعبيرات دينية كثيرة أطلقت في أثناء تعبئة الناس لتلك الحرب، لتطفي عليها الحرب المقدسة، وتساهم في تحريك الناس في سرعة وقوة، منها: (فرسان المسيح – رجال المسيح – الشعب المقدس – شعب الرب – وهي تعبيرات تشير أن فكرة الحرب الصليبية كانت قد رسخت في الأذهان، بحيث كان الناس على اقتناع كامل بأنهم حين يشاركون في هذه الحملة، لا يفعلون ذلك استجابة لأوامر أي مخلوق، ولا حتى البابا نفسه، إنما هم يطيعون الرب)(٢).

---

(١) يرى د/ قاسم عبده قاسم أن سبب تسمية هذه الحروب بالصليبية، يوحى بأنها كانت حركة دينية ترتبط بالصليب رمز المسيحية، ولا تضعها في إطارها الصحيح، باعتبارها مغامرة استيطانية متعصبة. انظر ماهية الحروب الصليبية د/ قاسم عبده قاسم صـ ١٢-١٣.

(٢) الخلفية الأيديولوجية للحروب الصليبية د/ قاسم عبده قاسم صـ٢٤-٢٥.

كما أن عامل الانتقام من المسلمين كان يسيطر على عقول رجال الدين والكنيسة، مما جعلهم يعبئون الناس لخوض هذه الحروب الطويلة، وكانت ثمرة هذه التعبئة أن خرج الناس في جموع ضخمة متجهة لحرب المسلمين في الشرق.

كذلك كان أحد محركيها وقادتها لويس التاسع ملك فرنسا الذي اشتهر بتدينه، حتى أطلق عليه لقب القديس، وكان يقود الحملة الصليبية السابعة المتجهة إلى مصر، والتي أسر فيها وحبس في دار القاضي ابن لقمان بالمنصورة، وبعد فدائه قاد الحملة الصليبية الثامنة على تونس.

ولا خلاف في أن التعصب الأعمى للنصرانية، كان له دور كبير في قيام هذه الحروب، من خلال ما قام به رجال الدين من النصارى في تعبئة النفوس، وشحنها بالعداء المفتعل، والعدوان على العالم الإسلامي، بزعم استرداد المقدسات النصرانية، وتخليص مهد المسيح من أيدي المسلمين.

يقول د/ بكر زكى عوض: (بل إن العصبية الدينية قد لعبت دورا بالغ المدى، حيث خرج النصارى من بلاد أوربا في حملات متتابعة، يبتغون القضاء على المد الإسلامي، والذي يدل دلالة قاطعة على العصبية، أن النساء قد خرجن، وكذا الأطفال يحملن الصلبان ويرغبون في الاستشهاد حبا للمسيح)[1].

(١) الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة للإمام القرافي صـ٢٧ من المقدمة، تقديم وتحقيق وتعليق د/ بكر زكى عوض ط/ الأولى سنة ١٤٠٧هـ ١٩٨٦م.

يقول د/ قاسم عبده قاسم: (الحركة الصليبية لم تكن لترى النور إلا بعد أن مهدت الكنيسة الكاثولوكية الأرض بصياغة أيدلوجية الحرب المقدسة من ناحية، وبظهور طبقة الفرسان (التي وجه أوربان خطابه إليها في كليرمون) بسماتها الإقطاعية المشتركة، ونظامها القيمي والأخلاقي الواحد، وظروفها الاجتماعية والاقتصادية المتشابهة، في سائر أنحاء الغرب الأوربي من ناحية أخرى) [1].

٢- اتساع رقعة الإسلام على حساب النصرانية:

لقد أدرك البيزنطيون خطر الإسلام عليهم مبكرا، منذ الوهلة الأولى في الصراع والصدام، خاصة منذ العصر النبوي، فقد قامت عدة معارك بين الطرفين، مثل دومة الجندل، وذات السلاسل، ومؤتة، وتبوك، وجيش أسامة بن زيد، كل هذه كانت صورا لبدايات الصراع والمعارك منذ العصر النبوي.

ولم ينته القرن الأول الهجري، حتى فتح المسلمون بلاد الشام، ومصر، وشمال أفريقيا، فهذه المنطقة كانت تابعة للدولة الرومانية، وشمال أفريقيا يخضع للكنيسة المسيحية الغربية، ووصلوا إلى مدن أوروبا، وفتح المسلمون أسبانيا، وواصلوا الفتوحات حتى استولوا على سردينيا، وكانت هذه نقطة توقف عند العالم الغربي، حيث كانت تمثل أسبانيا وسردينيا مكانة كبيرة في العالم الغربي، ومن ثم سعت الكنيسة لاسترداد هذه البلاد التي وقعت تحت الحكم الإسلامي.

---

(١) انظر ماهية الحروب الصليبية د/ قاسم عبده قاسم صـ٣٧-٣٨.

يقول الدكتور/ محمود زقزوق: (وليس هناك شك في أن الانتشار السريع للإسلام في الشرق والغرب، قد لفت بقوة أنظار رجال اللاهوت المسيحي إلى هذا الدين) (١).

بالإضافة إلى ما سبق كانت موقعة (ملاذ كرد) (٢) التي انتصر فيها السلطان السلجوقي آلب أرسلان على الإمبراطور البيزنطي رومانوس ديوجنس، وبعد هذه الهزيمة شعر الغرب بان أبوابه أصبحت مفتوحة أمام المسلمين، وأحسوا بحجم المخاطر التي تحيط بهم، مما جعلهم يستعدون لدفع هذه المخاطر قبل أن تفاجئهم، بالإضافة ليأخذوا بثأرهم فيما سلب منهم.

يقول د/ أحمد شلبي: (ومنذ كارثة ملاذ كرد التي حلت بالدولة البيزنطية وأباطرة القسطنطينية لا ينقطعون عن طلب النجدة العاجلة من البابوية ضد السلاجقة من المسلمين) (٣).

---

(١) الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري د/ محمود حمدي زقزوق صـ١٨، ١٩، ط/ دار المعارف القاهرة ١٩٩٧م.

(٢) (ملاذ كرد) (٤٦٣هـ ١٠٧١م) كانت بين المسلمين بقيادة القائد المسلم التركي ألب أرسلان، والصليبيين بقيادة إمبراطور الروم أرمانيوس، وانتصر فيها جيش المسلمين، وكانت من المعارك التي غيرت وجه التاريخ، حيث قضت على سيطرة الروم على مناطق سيطرتها في آسيا الصغرى، وعلى أثرها اتصل الإمبراطور البيزنطي بالبابا في روما، من أجل الوقوف صفا واحدا أمام تنامي قوة المسلمين) أطلس الحملات الصليبية صـ١٦-١٧.

(٣) الحروب الصليبية د/ أحمد شلبي صـ٤٠. مكتبة النهضة المصرية القاهرة، الطبعة الثامنة، ١٩٨٤م.

لقد تعرضت القسطنطينية للغزو من قبل المسلمين عدة مرات، وأصبحت مهددة بالسقوط، فاستنجد حاكمها بالبابا يطلب النجدة والمساعدات من الخطر القادم عليهم، فقام البابا بتحريك هذه الجيوش للمساعدة من جانب، وتحقيق أطماعه في التوسع من جانب أخر.

يقول أ/ وليد نويهض: (تعرضت بيزنطة إلى هجمات متكررة من القبائل التركية المتمركزة في الأناضول، أو تلك القادمة من أسيا الوسطي، وهو أمر دفع الإمبراطور أليكس الأول إلى طلب المساعدة من البابا أربان الثانى، الذي تحمس لتقديم العون، وصد الهجمات التي تصاعدت بين ١٠٩١-١٠٩٦م. ومنذ تلك الفترة بدأ ما يعرف بالحملات من الغرب إلى الشرق، على امتداد القرنين الميلاديين الثاني عشر والثالث عشر) [١].

٣- البابا أوربان الثاني[٢] يقف وراء الحرب الصليبية الأولى:

---

(١) صلاح الدين الأيوبي سقوط القدس وتحريها، وليد نويهض صـ١٦ دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان/ الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.

(٢) أوربان الثاني (١٠٤٢ - ٢٩ يوليو ١٠٩٩)، ولد باسم أوتو اللاجيري، كان البابا من عام ١٠٨٨ إلى ٢٩ يوليو ١٠٩٩. فرنسي الأصل، وكان راهبا بمدينة كلوني بفرنسا، وهو الرجل صاحب الحملة الصلبية الأولى في التاريخ وهو الذي تولى الكرسي البابوي في إحدى عشرة سنة، وذلك من سنة (٤٨٠هـ) ١٠٨٨ إلى سنة (٤٩٢هـ) ١٠٩٩م، وكان هو الآخذ لقرار الحروب الصليبية على المشرق الإسلامي، وكان أوربان رجلا ذكيًا سياسيًا لبقًا، وكان خطيبًا مفوَّهًا، وكان أيضًا جريئًا حاسمًا، وكان مطلعًا على أحوال العالم المعاصر له. انظر موسوعة ويكيبيديا على النت.

كان البابا أوربان الثاني يتمتع بشخصية قيادية، وإرادة قوية، وذكاء حاد، استطاع أن يوظف الأحداث التي كانت حوله لتصب في مصلحة البابوية والكنيسة، ومن أهم هذ الأطماع التي كان يسعى إليها: (توسيع نفوذ كنيسة روما، وتوحيد الكنائس، ومحاربة الإسلام أينما وجد، باعتباره العدو اللدود الذي لا مناص لمواجهته، ومحاولة الانتصار عليه بأي ثمن)[١].

إن شخصية أوربان وأطماعه التوسعية هي سبب رئيسي لهذه الحرب: (كان أوربان الثاني رجلا ذكيا سياسيا لبقا، وكان خطيبا مفوها، وكان أيضا جريئا، وكان حاسما مطلعا على أحوال العالم المعاصر له، وفوق كل ذلك كان يكن حقدا كبيرا على المسلمين سواء في بلاد الشرق حيث يحكمون أرض المسيح، أو في الأندلس حيث يحكمون قطعة أوروبية مهمة على مدار أربعة قرون متتالية حتى زمان توليه البابوية، ثم إنه كان رجلا ذا طموح كبير وأحلام واسعة، بأن يكون هو الزعيم الأكبر والأوحد للمسيحيين جميعا في العالم، وذلك بتوحيد الكنيستين الغربية والشرقية، استكمالا لجهود سابقه جرجوري السابع؟) [٢].

دعا البابا أوربان الثاني في نوفمبر سنة ١٠٩٥ إلى عقد مؤتمر كليرمون فران الفرنسية، وكانت هذه الدعوة تنادى بالحج إلى الأراضي المقدسة، في بيت المقدس، كما كانت تركز على اضطهاد النصارى تحت الحكم الإسلامي في الشرق،

---

(١) الحروب الصليبية والعلاقات بين الشرق والغرب د/ محمد مؤنس عوض، صـ٦٥. عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية. الطبعة الأولى ١٩٩٩/٢٠٠٠م.

(٢) الحروب الصليبية والعلاقات بين الشرق والغرب، د/ محمد مؤنس عوض صـ٦٦.

وقدم قصصا خيالية مخترعة، يقصد منها تأجيج نار العداوة، وإشعال الحرب، وإبراز أسباب كبيرة تقنع حكام الغرب، من أجل الدخول في هذه الحروب الطويلة.

استعمل البابا جميع وسائل الإغراء، ليثير حماسة الجميع نحو المشاركة في هذه الحروب القادمة، فيضرب على الوتر الحساس، حيث فجر أكثر من قضية عامة تهم النصارى جميعا. يقول د/ قاسم عبده قاسم: (لقد بدأت أحداث الحركة الصليبية الفعلية في السابع والعشرين من شهر نوفمبر ١٠٩٥م بالخطبة التي ألقاها البابا أوربان الثاني ١٠٨٨-١٠٩٩م) في حشود المستمعين الذين اجتمعوا في حقل فسيح في أوفريني بكليرمون في جنوب فرنسا وكانت هذه الخطبة خاتمة مجمع ديني عقده البابا وجميع الأساقفة لمناقشة أحوال الكنيسة الكاثولوكية، وكانت الدعوة التي وجهها البابا بشن حملة تحت راية الصليب ضد المسلمين في فلسطين بمثابة إذن الدخول إلى رحاب التاريخ) [١].

فإن الأسباب التي حملت البابا أوروبان الثاني على إعلان الحروب الصليبية ترجع إلى سببين أساسيين:

(١- رد الفعل النصراني المشبع بالحقد ضد العالم الإسلامي.

٢- الطمع والمكاسب المختلفة الأشكال والأنواع) [٢].

---

(١) ماهية الحروب الصليبية د/ قاسم عبده قاسم صـ٨.

(٢) الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، محمد العروسى المطوي صـ١٢.

وأما عن بعض الأسباب الأخرى التي تسترت بها هذه الحروب فكانت غطاء ظاهريا مثل: (استخلاص بيت المقدس، وإنقاذ قبر المسيح-يسوع- وحماية الصليب، هي اللحاف الذي غطيت به، وجمعت فيه جميع الأغراض الأخرى التي اختلف أمرها باختلاف هوى كل واحد، وبذلك يظهر أن الانتفاع الشخصي كان هو السائد، وإن يكن خفيا لأول وهلة) (١).

(وفى عام ١٠٩٥م قام البابا إيربان الثاني بدعوة حكام أوربا وشعوبها بالكف عن الحروب المحلية، والخروج بدلا من ذلك لمحاربة العالم الإسلامي، والاستيلاء على خبراته، وبعد إعلانه أن المسلمين كفرة تستباح دماؤهم، فقد دعا سامعيه إلى تخليص القبر المقدس من أيدي المسلمين، مع وعد بغفران الخطايا لقتلى تلك المعارك بمقتضى التفويض الرباني الممنوح له)(٢).

فكان دور البابا والقساوسة يتمثل في الموافقة، والتوصية، والدعاية، والتحريض، والتعبئة العامة، وشحن النفوس معنويا وروحيا، وحشد الطاقات، وإذكاء نار الحرب وإشعالها، ويتبين ذلك واضحا من خلال خطبته الشهيرة التي قال فيها: (يا شعب الفرنجة، يا شعب الله المحبوب المختار، لقد جاءت من تخوم فلسطين، ومن مدينة القسطنطينية أنباء محزنة تعلن أن جنسا لعينا أبعد ما يكون عن الله قد طغى وبغى في تلك البلاد، وبلاد المسيحيين في الشرق، وقلب موائد

(١) الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، محمد العروسى المطوي صـ١٧.

(٢) حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر، أحمد عبد الوهاب، صـ١٠٣/ ١٠٤ مكتبة وهبة ط/ الأولى ١٤٠١هـ ١٩٨١م.

القرابين المقدسة، ونهب الكنائس وخربها وأحرقها، وساقوا بعض الأسرى إلى بلادهم، وقتلوا بعضهم الآخر بعد أن عذبوهم أشنع تعذيب، ودنسوا الأماكن المقدسة برجسهم، وقطعوا أوصال الإمبراطورية البيزنطية، وانتزعوا منها أقاليم بلغ من سعتها أن المسافر فيها لا يستطيع اجتيازها في شهرين كاملين، على من إذن تقع تبعة الانتقام لهذه المظالم، واستعادة تلك الأصقاع إذا لم تقع عليكم أنتم. أنتم يا من حباكم الله أكثر من أي قوم آخرين بالمجد في القتال، وبالبسالة العظيمة، وبالقدرة على إذلال رؤوس من يقفون في وجوهكم؟ ألا فليكن من أعمال أسلافكم ما يقوي قلوبكم أمجاد شارلمان وعظمته، وأمجاد غيره من ملوككم وعظمتهم، فليثر همتكم ضريح المسيح المقدس ربنا ومنقذنا الضريح الذي تمتلكه الآن أمم نجسة، وغيره من الأماكن المقدسة التي لوثت ودنست، لا تدعوا شيئاً يقعد بكم من أملاككم أو من شؤون أسركم، ذلك بأن هذه الأرض التي تسكنونها الآن والتي تحيط بها من جميع جوانبها البحار، وتلل الجبال، ضيقة لا تتسع لسكانها الكثيرين، تكاد تعجز عن أن تجود بما يكفيكم من الطعام، ومن أجل هذا يذبح بعضكم بعضا، وتتحاربون ويهلك الكثيرون منكم في الحروب الداخلية، طهروا قلوبكم إذن من الحقد، واقضوا على ما بينكم من نزاع، واتخذوا طريقكم إلى الضريح المقدس، وانتزعوا هذه الأرض من ذلك الجنس الخبيث وتملكوها أنتم، إن أورشليم أرض لا نظير لها في ثمارها، هي فردوس المباهج، إن المدينة العظمى القائمة في وسط العالم تستغيث بكم أن هبوا لإنقاذها، فقوموا بهذه

الرحلة راغبين متحمسين تتخلصوا من ذنوبكم، وثقوا بأنكم ستنالون من أجل ذلك مجدا لا يفنى في ملكوت السموات)[١].

ومما جاء في خطبة البابا أيضا محرضا النصارى على قتال المسلمين بكل شدة وقوة، باسم الرب وبدافع المحافظة على الوجود المسيحي: (وعلى ذلك فنحن محذروكم وموصوكم باسم الرب، بالعمل على التطهر من خطاياكم، وذلك بمشاطرة إخواننا سكان القدس، ومن حولهم في مصائبهم وآلامهم ... وعليكم أن تكبحوا بكل غضبة دينية وقاحة الكفار الذين يحاولون إخضاع الممالك والولايات والدول، وأن تحاربوهم ما وسعكم الجهد، هؤلاء الذين أجمعوا العزم على إزالة الاسم المسيحي)[٢].

هذه الخطبة الحماسية كان لها أثر السحر في نفوس الحاضرين، حيث ألهبت حماسهم، وشحذت عزائمهم، حتى إنهم بمجرد نهايتها وافقوا على كل ما قاله البابا إجمالا وتفصيلا، ورد الفعل كان قويا وسريعا، فقال الجميع بصوت واحد: (هكذا أراد الله).

يقول ول ديورانت: (دعا أوربآن الحاضرين بعد الخطبة إلي أن يجعلوا هذا النداء في الحرب، وأمر الذاهبين إلي الحرب الصليبية أن يضعوا الصليب علي

---

(١) انظر الحركة الصليبية، د/ سعيد عبد الفتاح عاشور ١٠٤/١، ١٠٥. وانظر الحروب الصليبية نصوص ووثائق، د/ قاسم عبده قاسم صـ٧٣-٩٠.

(٢) الحروب الصليبية، وليم الصوري ١٠٤/١. ترجمة د. حسن حبشي، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة ١٩٩١م.

جباههم وصدورهم، وخرج الرهبان والنساء من صوامعهم، ليكونوا جنود المسيح بالمعنى الحرفي لهذا اللفظ، لا بمعناه المجازي) (١).

بعد الخطاب تنقل البابا بين عدد كبير من المدن ليخاطب كافة قطاعات المجتمع، كما أنه أرسل العديد من الخطابات من أجل أن يدعم مشروعه الصليبي بكل الوسائل المتاحة لديه.

يقول د/ قاسم عبده قاسم: (والواقع أن خطبة البابا العاطفية الحماسية بما تخللها من تلويح بالمكاسب الدنيوية، وترغيب في المكاسب الدينية، لقيت استجابة فورية وهائلة من الحاضرين، ولم تكن الاستجابة ناتجة من فصاحة البابا وقوة بيانه، بقدر ما كانت تعبيرا عن أن البابا طرح أمام أبناء الغرب الكاثوليكي مشروعا طال انتظارهم إياه، فقد كانت الدعوة إلى القيام بالحملة الصليبية، دعوة تناسب العصر تماما) (٢).

ويلاحظ على خطاب البابا عدة ملاحظات هامة منها ما يأتي:

١ - إنه خطاب ديني حماسي قوي، يعبئ النفوس، ويحرك العواطف، نحو هدف واحد، هو توجيه الناس إلى بيت المقدس، لتحريره من أيدي المغتصبين، فاستطاع أن يشعل جذوة الشعور الديني، من خلال الحديث عن مهد المسيح،

(١) قصة الحضارة ول ديورانت ١٦/١٥.

(٢) ماهية الحروب الصليبية، د/ قاسم عبده قاسم صـ٩١.

ومقصد النصارى في الحج إلى بيت المقدس، وما وقع للنصارى هناك من قتل وسلب وتشريد، فدفع الناس نحو الحرب دون تفكير أو دراسة.

٢- تذكير البابا للحاضرين بما جاء من أخبار مؤسفة، حيث بالغ فيها إلى أقصى درجة، فزعم أن النصارى في الشرق قد تم الاستيلاء على ممتلكاتهم، وبعضهم قد أصبح أسيرا الآن، وأن الكنائس قد تحولت إلى مرابض للخيول، وأن هؤلاء المستضعفين يطلبون منهم الإنقاذ والنجدة، وهذا كله يجعل السامعين يوافقون مباشرة على قرار الحرب، ويتحمسون لها، ويضحون في سبيلها بكل ما يستطيعون.

٣- إن البابا قد وعد بالغفران المسيحي لكل من يشارك في هذه الحرب، وهذا مزيد من التشجيع للناس المشاركين فيها، فمن عاش غفرت ذنوبه وخطاياه، ومن مات فهو شهيد، ومن ثم يشعر الناس بأنهم مستفيدون من وراء هذه الحرب لا محالة.

٤- أن البابا ركز في خطابه على تحريك المنافع والمطامع المادية في نفوس المستمعين، حيث ذكر أن الأرض قد ضاقت بهم، ولابد من البحث عن أرض جديدة تتسع لهم في المعيشة، فذكرهم بأن أرض كنعان مليئة بالخيرات، فهي تفيض لبنا وعسلا كما جاء في الكتاب المقدس.

٥- ركز البابا في خطابه على القضايا الرئيسة الهامة، والتي تكون محل اتفاق من الجميع، حتى لا يجد معارضة من بعض الحاضرين.

يقول ول ديورانت: (انتقل البابا النشيط إلى مدن أخرى، وظل تسعة أشهر يخطب داعيا إلى الحرب الصليبية، ولما بلغ رومة بعد أن غاب عنها سنتين، استقبلته بالترحاب أقدم مدن العالم المسيحي تقوى، وأخذ على عاتقه أن يحل جميع الصليبيين من جميع القيود التي تعوقهم من الانضمام إلى المقاتلين....وهكذا توحدت أوروبا كما لم تتوحد في تاريخها كله) (١).

كما أن البابا أرسل العديد من الخطابات إلى الملوك والأمراء، وأوفد عددا كبيرا من رجال الكنيسة لتعبئة الناس، وتحفيزهم للمشاركة، وكان حديثهم دائما يركز على الطاعة المطلقة، وعدم التمرد، ووحدة العالم المسيحي في الشرق والغرب. (بعد استجابة ملوك وأمراء وتجار الممالك والمدن الأوروبية دعوة البابا، بدأ أوربان الثاني جولته في فرنسا، وأخذ يحرض على الحرب، ويستنفر المشاعر لقتال (الكفار) و(الوحوش) الذين يهددون أوروبا، وتم توزيع الأدوار، الكنائس تقوم بمهمات التعبئة والاستنفار، وأمراء الممالك ينظمون ويدربون الناس على القتال، وتجار المدن يوفرون المال والعتاد اللازمين لتنفيذ المهمات ونقل القوات.

إلى ذلك كان على البابا أن يقوم بمهمتين إضافيتين، الأولى تجميع القوى تحت سيطرته، وإعادة تنظيم المصالح بين الممالك الأوروبية، تعديل مفاهيم المسيحية حول خطيئة القتل، وهكذا لعبت الكنيسة دور الوسيط السياسي، لتخفيف التنافر

(١) قصة الحضارة ول ديورانت ١٥/١٦-١٧ باختصار.

والتنافس بين أمراء الممالك، ودور الوسيط الديني (الأيديولوجي) بين الناس وماكان يطلق عليه ب (مملكة الله) [١].

وأما ما يتعلق بأطماعه الشخصية في توحيد الكنيستين الشرقية والغربية تحت سيطرته، فلم يفصح عن نواياه فيها، حتى لا تكون محل جدل أو نقاش، فتفسد عليه خطته الحربية.

وأما عن موقف الكنيسة الشرقية والغربية من الحرب والقتال فيقول د/ سعد الدين صالح: (لقد حدث خلاف بين الكنيسة الشرقية والغربية حول موضوع الحروب، فقد كانت الكنيسة الغربية -الكاثوليكية- متمسكة بنصوص الإنجيل في التسامح، واعتبار الحروب مذابح عامة تزهق فيها الأرواح البشرية، الأمر الذي حرمه الرب ولم يرض عنه الآباء الأول-للكنيسة الغربية.

أما الكنيسة الشرقية فقد سمحت لنفسها بالقتال والحروب، ولم تلتفت إلى نصوص إنجيلها، وبعد فترة انجرفت الكنيسة الغربية في هذا التيار وقامت بالحروب الصليبية على العالم الإسلامي) [٢].

ومن الملاحظ أن المشاركين في هذه الحرب كانوا من بلاد مختلفة، وجنسيات متعددة، وألسنة متباينة، جمعتها فكرة الحرب الصليبية، خاصة أنها كانت تعبر عن

(١) صلاح الدين الأيوبي سقوط القدس وتحريرها، وليد نويهض صـ٣٠.

(٢) احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام د/ سعد الدين صالح صـ٢١.

الفترة الزمنية السائدة، وهي حركة الإحياء الديني التي كانت منتشرة في تلك الآونة.

يقول د/ قاسم عبده قاسم: (لقد تمثل نجاح أوربان الثاني في أن خطبته التي دعا فيها إلى الحملة الصليبية كانت بمثابة بؤرة تجمعت فيها كل الأفكار التي مثلت الإطار الأيديولوجي لحركة المجتمع الغربي آنذاك على الرغم من الاختلافات اللغوية والعادات والتقاليد وهكذا لم تكن استجابة جماهير المستمعين إلى البابا في كليرمون مجرد رد فعل لبلاغة كلماته، وإنما كانت هذه الاستجابة تعبيرا عن فرحة أولئك المستمعين بالمشروع الذي مس أوتار الآمال التي كانت تداعب كلمتهم تقريبا، وجاءت الحرب المقدسة ستارا مدهشا يمكن للجميع أن يتحركوا من خلاله لضمان تحقيق أحلامهم الدنيوية وخلاصهم الأخروي وبوسعنا أن نورد عشرات التعبيرات الواردة في المصادر التاريخية والحوليات المعاصرة التي تصف الصليبين بأنهم "فرسان المسيح" و"رجال المسيح" أولئك الذين يكونون جيش المسيح و" الشعب المقدس" و" شعب الرب " وهي كلها تعبيرات تشير بأن فكرة الحرب الصليبية كانت قد رسخت في الأذهان بحيث كان الناس على اقتناع كامل بأنهم حين يشاركون في هذه الحملة لا يفعلون ذلك استجابة لأوامر أي مخلوق، ولا حتى البابا نفسه، وإنما هم يطيعون الرب)[1].

(١) الخلفية الإيديولوجية للحروب الصليبية، د. قاسم عبده قاسم صـ ٢٤، ٢٥. ط/ عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية. ط/ الأولى ١٩٩٩م

لقد شهد العالم الغربي صراعات طويلة بين القيادات الدينية والسياسية في أوربا، فكانت هذه فرصة للبابا ليظهر قوة سيطرته على صناعة القرار، فقام بتأجيج هذه الحرب وإشعالها، تحت مسمى تخليص قبر المسيح من أيدي مغتصبيه، وهي حجة مصطنعة مبالغ فيها، ليحرك الحكام إليها، ويكون هو صاحب القرار والكلمة الأخيرة في النفوذ والسيطرة على الجميع، فالحروب الطويلة المستمرة تضعف شأن الحكام، فيسهل السيطرة عليهم من قبل البابا.

رأى البابا أن سيطرته على الأرض المقدسة يعد لونا من امتداد نفوذ الكنيسة الغربية ليصل إلى الكنيسة الشرقية بالقسطنطينية، فيوحد الكنيسة تحت إمرته وسيطرته، ويمتد نفوذه بين الشرق والغرب، بالإضافة إلى الطموح الذي كانت تفكر فيه أوربا، وهو العمل على تكوين إمبراطورية عالمية، وكنيسة نصرانية عالمية.

يقول وليد نويهض: (صحيح أن الدعوة أشعلت خيال البابا، ووجد فيها أفضل وسيلة لوقف الصراع على النفوذ بين الكنيسة وأمراء الممالك، وإخراج حلقات العنف من وسط القارة إلى العالم الإسلامي، كذلك وجد فيها مناسبة ليعلن نفسه منقذا للكنيسة المسيحية الشرقية، ورئيسا للكنيسة الموحدة، إلا أن الصحيح أيضا أن البابا استغل الدعوة ليحقق طموح الكنيسة، بالسيطرة على القدس، وجعلها تابعة مباشرة للفاتيكان، كذلك يضغط من خلالها على أمراء الممالك لوقف صراعاتهم الشخصية، وتوحيد جهودهم تحت راية الكنيسة، لحشد

القوات الأوربية المشتركة لوقف تقدم العالم الإسلامي، واتساع جغرافيته السياسية)[١].

ولا شك أنه كانت هناك خلافات بين الكنيستين، وظل هذا محل تنافس فترة طويلة، ومن ثم كانت هذه الحروب فرصة للبابا، ليقوم بسيطرته على الكنيسة الشرقية والغربية، فيبسط نفوذه على المسيحيين جميعا في العالم.

لقد كان لدى البابا خطة أخرى يقوم بها القساوسة في الأندلس نحو المسلمين هناك، ومما يدل على ذلك موقفه من قسساوسة الأندلس، حينما طلبوا المشاركة في حروب الشرق فرفض، وأعلمهم بأن هناك حربا أخرى يدخرهم لها، يجب أن يعدوا أنفسهم للقيام بها (في مجمع كليرمونت الذي أعلنت فيه الحرب الصليبية بالمشرق، أراد المطران برنارد وعدد من القساوسة الأسبان المشاركة في الحروب الصليبية بالمشرق، إلا أن البابا أوربان منعهم من ذلك، لأنه توجد في بلادهم أسبانيا حرب صليبية.

كما أصدر مرسوما حرم فيه على رجال الدين والفرسان الأسبان المشاركة في حروب الشرق، لأن محاربة المسلمين بأسبانيا لا تقل أهمية واعتبارا عن الحرب الصليبية بالمشرق، وقد ترتب على ذلك أن هرع الكثير من الفرسان من مختلف أرجاء أوروبا إلى الأندلس، ليساهموا في حرب صليبية هي أقرب سبيلا، وأيسر مشقة وعناء، ولما أسفرت الحرب الصليبية الأولى عن نجاحها، أعلن البابا

(١) صلاح الدين الأيوبي سقوط القدس وتحريرها وليد نويهض صـ٢٦.

باسكال الثاني الحرب ضد مسلمي الأندلس، وقد أصبح من المألوف أن يأذن البابا لملوك الأسبان في استعمال أموال الكنائس لمحاربة المسلمين)[١].

ثم يقول العروسي: (بعد معركة بلاط الشهداء توقف المد الإسلامي نحو أوربا، ولما أسفرت الحرب الصليبية الأولى عن نجاحها أعلن البابا (باسكال الثاني) الحروب الصليبية ضد مسلمي الأندلس، وفى سنة ٦٣٢هـ ١٢٤٤م أصدر البابا قريفوار التاسع قرارا وعد فيه النصارى الذين يحاربون مع ملك البرتغال (صانشو الثاني) بغفران ذنوبهم كما لو كانوا في الحروب الصليبلية بالأرض المقدسة، وكان البابا يثير حماسة البرتغاليين ضد المسلمين) [٢].

٤- بطرس الناسك ودوره في الحرب الصليبية الأولى [٣]:

---

(١) الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، / محمد العروسى المطوي صـ١٤٠ ط/دار الكتب الشرقية تونس.

(٢) الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، / محمد العروسى المطوي ص١٩١ ط/ دار الغرب الإسلامي.

(٣) بطرس الناسك عاش بين سنتي ٤٤١هـ -٥٠٨هـ /١٠٥٠م- ١١١٥م. كان ميلاده في مدينة ميان شمال فرنسا، كان رجلا قصير القامة، قبيح الوجه، رث الهيئة، من أشد الداعين للحروب الصليبية، حيث جال في أوروبا لهذا الغرض، قدم للحملة الصليبية الأولى. انظر الحروب الصليبية وليم الصوري ترجمة د حسن الحبشي ١/٩٠، ٩١. (كان بطرس الناسك طاعنا في السن، ولد قرب ميان، عرفه معاصروه باسم بطرس الصغير، غير أن ما اتخذه فيما بعد من رداء الزاهد جعله معروفا عادة باسم الزاهد أو الناسك، الذي اشتهر به في التاريخ، كان قصير القامة، داكن اللون، ذا وجه طويل نحيل، أشبه ما يكون في قبحه بوجه الحمار الذي يمتطيه، والذي لقي من التكريم والتبجيل مثلما لقي بطرس، الذي درج على أن يسير حافي القدمين، وارتدى ملابس رثة، وعلى الرغم من حقارة مظهره فإنه ادخر من القوة ما كان يثير الرجال،

قام بطرس الناسك وهو راهب فرنسي- بعدة رحلات في أوربا، لتعبئة النصارى ضد المسلمين في بيت المقدس، حيث زعم أنه حينما زار بيت المقدس، قوبل بمعاملة سيئة من المسلمين، هو وكل من زار بيت المقدس من النصارى.

ومن ثم عاد إلى أوربا يخطب في الناس، محرضا إياهم على إنقاذ الأماكن المقدسة، مما ساعد في تعبئة النفوس في الاستعداد للحرب، من أجل تخليص هذه الأماكن من سيطرة المسلمين. (ومما نحب الإشارة إليه أن الوعاظ الذين قاموا بدور مماثل لبطرس الناسك في التبشير بالحروب الصليبية والدعاية لها، إنما كانوا يعدون بالمئات والآلاف) [1].

فبطرس الناسك له دور قوى في إشعال هذه الحرب، خاصة أنه كانت له قوة في التأثير، وتحريك عواطف الناس وحماستهم، من خلال خطبه النارية، وقدرته الشخصية على التمثيل، فكان يتبعه الآلاف من الفقراء، الذين لا يملكون السلاح، ولا يعرفون فنون الحرب، ولكنهم تأثروا بخطبه إلى أقصى درجة ممكنة.

يقول المؤرخ روبرت الراهب عن بطرس الناسك: (إن بطرس هذا هو رائد الحرب الصليبية، وأنه كان يفوق في ورعه القسيسين والأساقفة، وكان ممتنعا عن

وأحاط به جو غريب من السلطة والنفوذ) تاريخ الحروب الصليبية ستيفن رنسيمان ١٦٩/١ ترجمة د/ السيد الباز العريني دار الثقافة بيروت. ط الثالثة ١٩٩٣.

(١) دراسات في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب د/ محمد مؤنس عوض صـ٢١. ط/ القاهرة ٢٠٠٣م.

تناول الخبز واللحم، بل جعل غذاءه السمك، وكان لا يسمح لنفسه إلا بقليل من النبيذ، وبعض الطعام الغليظ) (١).

(بعد سنة من مؤتمر كليرمونت أخذت الدعوة للحرب تسيطر على المشاعر، وتركزت الاستجابة الأولى في شمال شرق فرنسا وشمال ألمانيا ولعب الرهبان دورهم في تهييج العامة على الانضمام للحملات، وقاد تلك الدعوات الراهب بطرس الناسك (الراهب) الذي أخذ يتجول على حماره من مدينة إلى أخرى، مركزا في خطبه على مسألتين، الأولى: إعادة فتح الطرق أمام قوافل الحجاج إلى الأراضي المقدسة، والثانية: أن المسيح سيظهر ثانية في القدس في نهاية القرن في حال استجاب أولاده للأمر الإلهي)(٢).

وأما عن الادعاءات التي تشدق بها بطرس فكانت كلها أوهام ومبالغات من أجل إشعال جذوة الحرب، يقول د على عبد الحليم: (الادعاء بتخريب الكنائس، وهدم الأديرة ومصادرتها، لم يقم عليه دليل، وإنما شائعات ودعاية باطلة لفتح الجبهات على المسلمين، وأهمية إعطاء دور إعلامي عنه، ربما أدى إليه تصرف بعينه في قرية بعينها، لا يمكن بحال من الأحوال أن يعتبر هو الأصل في معاملة المسلمين للمسيحيين وكنائسهم في البلاد العربية) (٣).

---

(١) دور العلماء المسلمين في الشرق الأدنى في الجهاد ضد الصليبيين خلال الحركة الصليبية د.آسيا سلمان نقلي صـ٢٣٩ ط/ مكتبة العبيكان سنة ٢٠٠٢م .

(٢) صلاح الدين الأيوبي سقوط القدس وتحريرها، وليد نويهض صـ٣٠-٣١.

(٣) الغزو الصليبي والعالم الإسلامي د/علي عبد الحليم محمود صـ١٠٩ دار التوزيع والنشر الإسلامية القاهرة الطبعة الأولى سنة ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.

إن السبب الحقيقي لما فعله بطرس الناسك من دعاية وإعلان من أجل تعبئة الغرب إنما هو الغيرة من سيطرة المسلمين على بيت المقدس وما حوله: (ولعله اغتاظ لرؤية السيادة الإسلامية على فلسطين والأماكن النصرانية المقدسة، فعزم على دعوة المسيحيين لإنقاذ الأماكن النصرانية المقدسة من أيدي المسلمين، ففكر راجعا إلى وطنه فرن، وعرج على رومة حيث يوجد البابا أوربان الثاني)[١].

ومن خطاب بطرس الناسك للبطريرك يستحثه على المضي قدما في هذا الطريق: (اعلم أيها الآب المبارك إذا توفر لكنيسة روما وأمراء الغرب مبلغ ألمعي ثقة، يخبرهم بالمصائب التي يكابدونها، فلا شك أنهم سوف يبادرون إلى بذل الجهد، لتقديم العلاج بأسرع ما يمكنهم قولا وعملا، لتخليصكم من هذه المشاق، عليك أن تثابر بالكتابة إلى قداسة البابا وإلى الكنيسة في روما...وأما أنا فلن أتراجع من جهتي على حمل هذه الرسالة رجاء خلاص روحي، كما أنني مستعد -مهتديا بالله- لزيارة الجميع والتوسل إليهم، وأدعو الجميع أفرادا وجماعات أن لا يتوانوا عن إسعافكم بما فيه خلاصكم) [٢].

لقد غرس بطرس الناسك الحماس في كل مكان سعى إليه، وبذل ما في وسعه من أجل التعبئة والتحفيز، وقد نجح في ذلك نجاحا كبيرا مع الأمراء وعامة الناس.

---

(١) الحروب الصليبية في المشرق والمغرب محمد العروسى المطوي صـ٤٥ ط/دار الغرب الإسلامي ١٩٨٢م.

(٢) تاريخ الحروب الصليبية وليم الصوري ترجمة د/ حسن الحبشي ٩٢/١.

٥- الحج عند النصارى وعلاقته بالحروب الصليبية:

لقد حظى العالم الإسلامي باهتمام الغربيين منذ فترة طويلة، لأن الإسلام يعد أكثر الأديان نموا وانتشارا في العالم، وهو الصخرة التي تقف في وجه تقدم المسيحية، بالإضافة إلى أهمية موقعه الجغرافي والاستراتيجي بالنسبة للكنيسة والعالم النصراني، حيث يوجد فيه بيت المقدس، وهذه المنطقة شهدت ميلاد المسيح وحياته ودعوته ونهايته.

ويعد الحج المسيحي إلى فلسطين واحدا من الأسباب الدينية الرئيسة التي ساهمت في قيام الحملات الصليبية، فإذا لم يوجد الحج أصلا إلى بيت المقدس، ما خطر على بال النصارى أن تكون هذه الأرض التي شهدت مولد وحياة ونهاية المسيح تحت سيطرة أتباعه، خاصة بعد ما شعرت أوربا بقوتها العسكرية، فرفضت أن تبقى هذه البقاع تحت أيدي المسلمين الذين كانوا يعتبرونهم كفارا.

(والحج المسيحي إلى بيت المقدس وفلسطين ممارسة دينية مسيحية نمت نموا شبه عضوي منذ بداية الوجود التاريخي للمسيحية، فعلى الرغم من أن الحج ليس فريضة دينية على المسيحية مثلما هو الحال في الإسلام، إلا أن الجذب العاطفي نحو الأرض التي شهدت قصة المسيح ومولد المسيحية ظل يشد الناس من أتباع هذا الدين بشكل متصاعد مع مرور الزمن) [١].

(١) ماهية الحروب الصليبية د/ قاسم عبده قاسم صـ١٦.

بالإضافة إلى أن البابا كان يرفع العقوبات عن المخطئين والمذنبين إذا شاركوا في هذه الحروب كما أنه وعدهم بمراعاة أسرهم وأولادهم أثناء المعركة.

يقول وليد نويهض: (وأخطر تعديل أحدثه البابا على الأيدولوجية الدينية المشرقية (المسيحية) كان إلغاء فكرة الخطيئة وتحويلها باتجاه مختلف يتناسب مع المهمات الجديدة، فبات القتل مستحبا، شرط أن يكون ضد أعضاء المسيح والمسيحية، وبات من يقتل أعداء المسيح يدخل الجنة لا النار، وهكذا أدى وعد البابا أنصار الكنيسة بدخول الجنة في حال قتلهم الأعداء، إلى تجييش القوى الشعبية، واستنفار العامة، وتجنيدهم للمعارك المقبلة) (١).

لقد ساهمت الكنيسة بتقديم تسهيلات كثيرة، من أجل تشجيع الناس على المشاركة في هذه الحرب، فقدمت العديد من المزايا والمنح: (حيث وعدت بأنه كل من يموت في هذه المعارك تغفر له جميع ذنوبه وخطاياه، وإعفاء الناس من الضرائب، وأجلت سداد الديون بالنسبة للمدينين، كما أطلق البابا صراح المسجونين، بالإضافة إلى تخفيف أحكام الإعدام لمن أخذ حكما بذلك في حالة إذا ما قضى باقي عمره محاربا في أرض فلسطين) (٢).

فالبابا كان يجيش الجيوش في الحملات الصليبية، تحت مسمى غفران الذنوب، فكان يستخدم الدين لتنفيذ طموحات الكنيسة وأحلامهم في الداخل

(١) صلاح الدين الأيوبي سقوط القدس وتحريرها وليد نويهض صـ٣٠.

(٢) انظر قصة الحضارة ول ديورانت ١٨/١٥.

والخارج، والحج إلى بيت المقدس كان واحدا من بين هذه الأسباب السابقة التي استغلها البابا في تحريك عواطف الناس ومشاعرهم، ودفعهم بقوة نحو الدخول في هذه الحرب القادمة.

(كل من يخر صريعا في الحرب قد وعد بأن تغفر له كل ذنوبه) (١).

بالإضافة إلى أنه في تلك الفترة كانت هناك حركة الإحياء الديني في أوربا، التي بلغت أوجها خلال القرن الحادي عشر الميلادي، أو الشعور الديني السائد والمنتشر بين الناس قبيل قيام هذه الحروب مباشرة، فحركة الإحياء الديني التي ظهرت في أوربا، قد وصلت إلى درجة عالية من القوة والحماسة، مما دفع البابا إلى توجيه هذه الطاقات إلى بلاد المسلمين، تحت مسمى تخليص مهد المسيح وبيت المقدس من أيدي المسلمين.

٦- السبب الاقتصادي والتجاري وعلاقته بالكنيسة:

ومن الأسباب الأخرى غير الدينية، التي تعد دوافع ثانوية جانبية، ظهرت أثناء الإعداد للحروب، والدخول في أحداثها، والنظر إلى نتائجها وآثارها، السبب الاقتصادي والتجاري.

هذه الحرب في حقيقتها صورة للتفاعل بين الكنيسة، ورجال الدين من جانب، وفى الجانب الآخر التجار والإقطاعيون، فجمعت بين مصالح مشتركة، حيث رأى التجار فيها وسيلة للسيطرة على طرق التجارة في البحر المتوسط، والتي تمر بين الشرق والغرب، وكانت مصدر ثراء لكثير منهم، ورغب كثير من

(١) قصة الحضارة ول ديورانت ١٨/١٥.

الأثرياء وأصحاب الطموح في التحكم في طرق التجارة العالمية البرية والبحرية، وخاصة الأماكن الاستراتيجية منها، من أجل الحصول على الموارد الطبيعية التي حبى الله بها العالم الإسلامي، والطمع بما في أيدي المسلمين من ثروات ومعادن، بقصد الاستيلاء عليها، فكان ذلك دافعا عند البعض لخوض هذه الحروب، من أجل تحقيق هذه الأهداف المادية.

كما أن البابا أراد أن يقضى على نفوذ الإقطاع في الغرب، فقام بتوجيههم إلى حرب مقدسة طويلة في الشرق، حتى يخفف من سيطرتهم على الشعوب، وكان الأمراء يشاركون في هذه الحروب لكسب ود الكنيسة وتأييد البابا لهم، بالإضافة إلى كسب وتحقيق الأطماع الاقتصادية.

يقول الشيخ الغزالي رحمه الله: (للاستعمار أحقاد وأطماع دنيوية، وإهاب يغطى هذه السوءات، فهو من جملة أصباغ، وهو يجيدها مثل ممثلو الروايات في أدوارهم الضاحكة أو الباكية) (١).

ومن الواضح أن الكنيسة سخرت كل هذه الدوافع لخدمة الهدف الديني، كما تظاهرت بالهدف الديني لخدمة الأطماع الشخصية، خلف ستار الدين، حتى لا تنكشف خطة الكنيسة أمام الرأي العام.

يقول د/ سعد الدين صالح واصفا دوافع مشعلي الحروب الصليبية وأطماعهم وما تشتمل عليه نفوسهم من بغض دفين للإسلام، والسعي للقضاء عليه: (وكانت حملات حاقدة على الإسلام والمسلمين لا هدف لها إلا شيئا واحدا

(١) الاستعمار أحقاد وأطماع، الشيخ/ محمد الغزالي صـ٢٤.

هو القضاء على الإسلام، ولا أدل على ذلك من أن القسس والأحبار والرهبان هم الذين أشعلوها وهم الذين تقدموا الصفوف) (١).

ثم يقول: (وهكذا ظل العالم الإسلامي مائتي عام يئن تحت كابوس ثقيل من الحقد والكراهية ومهاجمة النصارى في عقر دارهم لا لشيء إلا أنه رضي بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد ﷺ نبيا ورسولا، قال تعالى: ﴿ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ﴾ (٢).

تلك كانت أبرز الدوافع الرئيسة، التي دفعت الصليبيين للقيام بهذه الحملات العسكرية، وهي تكشف عن دوافع متعددة، كان الجانب الديني واحدا منها، سواء كان حقيقيا أو تظاهروا به، لتحقيق أطماعهم المادية والدنيوية.

❁❁❁

(١) احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، د/ سعد الدين صالح صـ٢١.
(٢) احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، صـ٢٤. والآية من سورة البروج (٨).

المبحث الثالث

أهداف الحروب الصليبية.

١ - **البعد التنصيري الذي يرمي إلى تنصير المسلمين في الشرق**، وربطهم بالكنيسة الغربية الكاثوليكية، وتحويل المسلمين إلى نصارى عقيدة أو سلوكا، أو الاكتفاء بإخراجهم من الإسلام دون الدخول في النصرانية، فيصبحون ضائعين بلا دين، أو هوية، أي في حالة من الشك والحيرة والاضطراب ومن ثم يسهل السيطرة عليهم، ويكونون تابعين للغرب في كل شيء، فلا يركنون إلى عقيدة، ولا يمتثلون خلقا، ولا يسعون إلى فضيلة.

يقول د/ علي الصلابي: (كشفت تلك الحملة عن الطابع التنصيري للحركة الصليبية، وأن ذلك الجانب من الممكن فهم أبعاد المطامع الصليبية في المنطقة من خلاله، إذ هدف الغزاة تحويل مسلمي المنطقة إلى مسيحيين يتبعون الكنيسة الأم في روما، وبذلك يكونون قد استهدفوا الهوية الدينية ذاتها)[١].

٢ - **إضعاف الإسلام في نفوس أبنائه**، وتهيئة المجتمعات المسلمة للسيطرة عليها، فالتنصير المنظم وسيلة جديدة، لها شراسة أشد من السيف، وهي تنفذ إلى العقل والقلب فتصيبه في مقتل. فهم يعملون من أجل زعزعة العقيدة الإسلامية

(١) الحملات الصليبية والأيوبيين بعد صلاح الدين د/ علي محمد الصلابي/ صـ١٨٩.

في نفوس المسلمين، ومحاولة تغريبهم عن دينهم، بحيث لا يعرف شيئا عن دينه إلا القليل، فيعيش في عالم بعيد عن الدين والمبادئ والأخلاق.

يقول الأستاذ أنور الجندي: (وتحويل العقلية الإسلامية عن مفاهيمها الإسلامية، وإثارة الشبهات حول مقومات فكرها الإسلامي، وذلك كمقدمة لتذويبها في الفكر الغربي، باعتباره هو الفكر العالمي المسيطر، وبذلك يفقد العالم الإسلامي قيمته الأساسية ويستسلم للاحتواء الغربي ويسقط كفريسة ذليلة في يده)[١].

٣- **الاستيلاء على بيت المقدس**، ليكون تحت سيطرة النصارى، حيث يعتبرونه جزءا من المقدسات المسيحية. وتأسيس إمارات صليبية في المنطقة.

يقول راند ولف تشرشل: (لقد كان إخراج القدس من سيطرة الإسلام حلما للمسيحيين واليهود على السواء، إن سرور المسيحيين لا يقل عن سرور اليهود، إن القدس قد خرجت من أيدي المسلمين، وقد أصدرت الكنيسة اليهودية ثلاثة قرارات، بضمها إلى القدس اليهودية، ولن تعود إلى المسلمين في أي مفاوضات مقبلة بين اليهود)[٢].

٤- **القضاء على الوحدة الإسلامية**، أو تفتيت وحدة المسلمين، حتى لا تقوم لهم قائمة، خاصة أنهم يعلمون أن قوة المسلمين في وحدتهم واتحادهم، وقد

(١) مقدمات العلوم والمناهج أنور الجندي ٣٠٩/٣ ط/ دار الأنصار القاهرة.

(٢) حرب الأيام الستة راندولف تشرشل صـ١٢٩.

ظهرت تصريحات كثيرة بذلك لعدد كبير من قادتهم، وتصريحات وزعماء التنصير في العالم تؤكد ذلك، يقول القس سيمون: إن الوحدة الإسلامية تجمع آمال الشعوب الإسلامية، وتساعد على التملص من السيطرة الأوربية، والتبشير عامل مهم في كسر شوكة هذه الحركة، من أجل ذلك يجب أن نحوّل بالتبشير اتجاه المسلمين عن الوحدة الإسلامية.[1].

❁❁❁

(١) انظر قادة الغرب يقولون دمروا الإسلام أبيدوا أهله جلال العالم صـ٥١-٥٣. ويقول المبشر لورنس براون: إذا اتحد المسلمون في إمبراطورية عربية، أمكن أن يصبحوا لعنةً على العالم وخطرا، أو أمكن أن يصبحوا أيضا نعمة له، أما إذا بقوا متفرقين، فإنهم يظلون حينئذ بلا وزن ولا تأثير. (جذور البلاء عبد الله التل – صـ٢٠٢) ويكمل حديثه: يجب أن يبقى العرب والمسلمون متفرقين، ليبقوا بلا قوة ولا تأثير. التبشير والاستعمار د/عمر فروخ صـ٣٦.
ويقول أرنولد توينبى في كتابه الإسلام والغرب والمستقبل صـ٧٣: إن الوحدة الإسلامية نائمة، لكن يجب أن نضع في حسابنا أن النائم قد يستيقظ، وفي كتاب مؤتمر العاملين المسيحيين بين المسلمين يقول: إن المسلمين يدّعون أن في الإسلام ما يلبى كل حاجة اجتماعية في البشر، فعلينا نحن المبشرين أن نقاوم الإسلام بالأسلحة الفكرية والروحية. التبشير والاستعمار د/عمر فروخ – صـ١٩١.

المبحث الرابع

دور القساوسة التبشيري أثناء المعركة وبعدها.

١ - حضور القساوسة في ميدان الحرب:

كان البابا يرسل مندوبين عنه، ويمنحهم صلاحيات واسعة إلى بلاد أوربا لتعبئة النصارى للحرب، وكذلك يرسل مندوبين عنه في كل حملة يوجهها إلى غزو العالم الإسلامي، ويأمر قادة الجيوش بالسمع والطاعة لهم، فكانت البابوية تتابع كل ما يحدث في المعارك عن قرب، وتنقل إليه الأخبار، وتنفذ تعاليمه، ومن ثم تبقى كلمته هي الأولى والأخيرة في كل الحروب الصليبية التي سيرت من قبل البابا.

وكان القسس ورجال الدين هم الذين أشعلوا الحرب، وهم الذين تقدموا الصفوف في السير نحو بيت المقدس، مثل بطرس الناسك، وولتر المفلس، وغيرهما. ووصف ابن الجوزي إحدى الحملات الصليبية ومشاركة بعض القساوسة فيها فقال:

(وبعد وصولهم إلى دمشق حدث قتال بينهم وبين المسلمين، ثم انسحبوا بعد ذلك خائبين، وكان معهم قسيس طويل بلحية بيضاء، فركب هذا القسيس حمارا، وجعل في حلقه صليبا، وفي حلق حماره صليبا، وأخذ في يده صليبا، وقال للإفرنج: إني قد وعدني المسيح أن آخذ دمشق ولا يردني أحد، فاجتمعوا حوله،

فتقدم على حماره، فغار المسلمون لذلك وحملوا عليه وقتلوه هو وحماره، وأحرقوا الصلبان) (١).

وذكر ابن كثير صورة لتوظيف رجال الدين من النصارى للجانب الديني في تحريك الناس وتعبئتهم نحو الحروب الصليبية فذكر: (أن النصارى كانوا يحملون صليب الصلبوت، ويرفعون الصلبان فوق الأسوار، وأن القساوسة والرهبان كانوا يخرجون إلى جزر النصارى يطوفون بها، ويحرضون النصارى على حرب المسلمين، وقد صوروا المسيح وبجانبه عربي يضربه، واذا سئلوا من هذا الذي يضرب المسيح قالوا: نبي العرب) (٢).

لقد كتب معظم المؤرخين المعاصرين لأحداث الحروب الصليبية وبعدها، على أنها كانت حروب دينية قاموا بها قربة إلى الله وخدمة لدينهم، وقد ذكر ابن الأثير عن زعماء النصارى وقادتهم أنهم تشاوروا حينما عزموا على البلاد أي جهة يقصدون وأشار (روجار) صاحب صقلية عليهم بقصد بيت المقدس لتخليصه من أيدي المسلمين ليحصل الفخر لهم بذلك(٣).

---

(١) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق/ محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، ٦٣/١٨، ٦٤. دار الكتب العلمية- بيروت، ط الأولى. ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

(٢) انظر البداية والنهاية لابن كثير ٣٤٢/١٢. تحقيق د/أحمد أبو ملحم واخرون. وصليب الصلبوت، هو الصليب الأقدس لدى النصارى، انظر موسوعة ويكيبيديا على الإنترنت.

(٣) انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير، عز الدين أبو الحسن على بن محمد الشيباني تحقيق د/ عمر عبد السلام تدمري ٤١٥/٨.

وكذلك ذكر ابن الأثير قصة الحربة المقدسة التي اخترعها أحد رهبانهم والتي يعتقدون أنها حربة المسيح، وهي مدفونة في القسيان الذي في انطاكيا فإن وجدوها فإنهم سوف يظفرون، وإن لم يجدوها فإن الدائرة عليهم(١).

فكلما سادت حالة اليأس والضجر بين الصليبيين، حاول رجال الدين النصراني بث الأمل، وانتزاع الخوف واليأس، ورفع الروح المعنوية بين جنودهم، من أجل مواصلة القتال.

يقول ول ديورانت: (أراد قسيس من مارسليا يدعى بطرس بارثلميو أن يبعث الشجاعة من جديد في قلوب الصليبيين فادعى أنه عثر على الحربة التي نفذت في جنب المسيح، ولما سار المسيحيون للقتال رفعت هذه الحربة أمامهم كأنها علم مقدس) (٢).

ولا شك أن إثارة هذه القصة تحرك العاطفة الدينية عند النصارى وتقوي ممارستهم على مواصلة الحرب حتى نهايتها.

فأثر رجل الدين في الجنود أكثر من القائد نفسه، ويؤكد هذا ول ديورانت حيث يقول: (واستغاث القديس برنار بالبابا يوجنيوس الثالث لينادي مرة أخرى بحمل السلاح.... فطلب إلى برنار ان يقوم هو بنفسه بالدعوة، وكانت هذه فكرة سديدة، لأن القديس كان أعظم شأنا من الرجل الذي نصبه البابا، فلما أن خرج

(١) انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير، صـ٤١٩/٨.

(٢) قصة الحضارة ول ديورانت ٢٣/١٥، ٢٤.

من صومعته في كليرفو ليدعو الفرنسيين إلى الحرب، خفتت أصوات الشك التي كانت مستكنة في صدور المؤمنين، وزالت المخاوف التي نشرتها القصص التي كانت تروى عن الحروب الصليبية الأولى، واتخذ برنار سبيله مباشرة إلى الملك لويس السابع، وأقنعه بأن يحمل الصليب، ثم وقف الملك إلى جانبه، وأخذ يخطب الجمع الحاشد في مينزلاي ١١٤٦م ولم يكد يتم خطبته حتى تطوع الجمع كله لحمل السلاح) (١).

ومما سبق يتبين أن رجال الدين من النصارى، كانوا يحضرون ويشهدون هذه المعارك بأنفسهم، ويساهمون في تعبئة الجنود لها، وتحريك الجانب الديني في نفوسهم، حتى يضمنوا استمرار المعارك إلى نهايتها، وكان أثرهم في الجنود أكثر من القادة أنفسهم.

٢- إرسال الحملات التنصيرية إلى بلاد المسلمين(٢).

لقد أثمرت الحرب الصليبية الأولى بعد نجاحها بالعمل والسعي إلى التنصير في المجتمعات المسلمة، ومن ثم لجؤا إلى تأسيس الجمعيات التبشيرية.

---

(١) قصة الحضارة ول ديورانت ١٥/٣٠.

(٢) الإرسالية: جماعة من المنصرين، وتضم الإرسالة عدة مراكز تنتشر في المدن والقرى، ويطلق عليها المركز التنصيري، أو مركز التنصير، باستخدام مصطلح التبشير بدل التنصير، وإقامة الكنائس المحلية الوطنية التي تؤول رعايتها للسكان الأصليين. انظر التبشير النصراني في جنوب السودان إبراهيم عكاشة علي صـ٢٤، ٢٥ ط/ دار العلوم القاهرة ١٩٨٢م.

هذه الإرساليات جاءت وفتحت لها مؤسسات بعد دخول الصليبيين إلى البلاد الإسلامية، ودخلت في صورة مؤسسات تعليمية أو ثقافية أو صحية أو خيرية، تظاهرت بذلك وعملت من الداخل بالتنصير، وجمع المعلومات، والتجسس على المسلمين، (وكانت أول هذه الجمعيات هي الجمعية التي أسسها لويس التاسع سنة ١٢٥٣م) (١).

وهناك بعض من الرهبان قاموا بتأسيس بعض الطوائف لخدمة التنصير، هذه الطوائف كانت بداية لغيرها التي انتشرت في الشرق والغرب بعد قيام الحروب الصليبية، وكانت تعمل في النهاية لخدمة المحتل الأجنبي وإن تظاهرت بثياب الدين، وارتدت ملابسه.

ومن هذه الطوائف: (الرهبان الفرنسيسكانيون وأسس رهبانيته القديس فرنسيس الأسيزي سنة ١٢٠٩م وقد اتصلوا بالمشرق منذ زيارة فرنسيس له ١٢١٩م وأعلن نشأتها رسميا عام ١٣٣٥م في فلسطين لرعاية النصارى من الأجانب دبلوماسيين وتجارا ونزلاء، ثم تجاوزوهم إلى الطوائف المحلية. الرهبان الدومنيكيون، أسس رهبانيتهم القديس دومينيكوس سنة ١٢١٦م) (٢).

وبعد نجاح الصليبيين في دخول بلاد الشام، كانوا قد أسسوا ثلاث إمارات صليبية وهي: إمارة الرها، وأنطاكية، وطرابلس، بالإضافة إلى بيت المقدس

---

(١) الغارة على العالم الإسلامي آل شاتليه، ترجمة محب الدين الخطيب، ومساعد اليافي صـ ١٤. باختصار، ط/ بيروت مكتبة أسامة بن زيد بدون تاريخ.

(٢) المستشرقون للعقيقي ٢/٢٤٩. ط/ دار المعارف/ ط/ الرابعة.

(وعندما تم سيطرة الصليبيين على بيت المقدس اختاروا الأمير (جودفري بويون) حاكما لها وتسمى بحامي بيت المقدس وهذا إظهارا لصفتة الدينية) [١].

العلاقة بين نصارى الشرق والحملات الصليبية:

لقد تعاون النصارى في بلاد الشام على اختلاف فرقهم مع الحملة الصليبية الأولى، وانتزاع بيت المقدس من المسلمين: (فكان ينضم بعضهم إلى معسكر الصليبيين، وكان بعضهم عيونا للصليبيين داخل البلاد الإسلامية، وكانوا يقدمون العون والمساعدة من المؤن والطعام والشراب، ويرشدونهم إلى مناطق الغابات ومنابع الماء، وكانت هذه المساعدات سببا في مواصلة الصليبيين الزحف على بلاد المسلمين) [٢].

يقول الأستاذ محمود شاكر: (استقبل سكان البلاد من النصارى والأرمن الصليبيين استقبالا حارا، ورحبو بهم ترحيبا كبيرا، وقد ظهر هذا في أثناء دخولهم أنطاكية، وبيت المقدس، كما قد دعموهم أثناء وجودهم أيام وجودهم في البلاد، وقدموا لهم كل المساعدات، وقاتلوا المسلمين، وكانوا عيونا عليهم للصليبيين) [٣].

فكانت الحروب سببا مباشرا لتقارب نصارى الشرق الأرثوذكس، مع نصارى الغرب الكاثوليك، وقد ساهم ذلك في تطور العلاقة بينهما بعد فترة انقطاع أو غياب الثقة.

---

(١) الحركة الصليبية د/ سعيد عبد الفتاح عاشور صـ٢٤٤.

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير، ٤٤٦/٨.

(٣) التاريخ الإسلامي محمود شاكر ٢٤٦/٦.

العلاقة بين التبشير والحروب الصليبية:

لا شك أن حملات التبشير النصراني هي طلائع الاحتلال، وهي من أكبر القوى المستفيدة منه، حيث تفتح الكنيسة مجالات خفية للتنصير في بلاد المسلمين، بالإضافة إلى أنها تساهم في إضعاف المسلمين، وكسر شوكتهم ماديا، حتى لا تقوم لهم قائمة في المستقبل، ومن ثم فكانت البعثات التنصيرية إلى أفريقيا، وكانت خليطا من الدول الاستعمارية. فالتبشير هو الواجهة الدينية للاستعمار، والاستعمار هو الحقيقة الاقتصادية والسياسية للمبشرين، والعلاقة بينهما علاقة وحدة وترابط وتعاون في تحقيق أهداف مشتركة.

ويربط د/ عماد الدين خليل بين الحروب الصليبية والجانب التبشيري فيها فيقول: (وقد تزامنت الحركة الاستعمارية وارتبطت عضويا بحركة التبشير النصرانية، بجانبيها الكاثوليكي والبروتستانتي، والتي انتشرت مراكزها في طول بلاد الإسلام وعرضها، تمهيدا للاستعمار بأنشطتها المختلفة، وتفتح أمامه الطريق، وتحظى تحت سلطانه بالكثير من المساعدات والميزات) (١).

فكلما استطاع الاستعمار أن يحتل بلدا جديدا قام بإعداد المراكز التبشيرية، لتقوم بأنشطتها المتعددة التنصيرية، فالعلاقة بين الطرفين علاقة عمل مشترك

(١) هجمات مضادة في التاريخ الإسلامي د/عماد الدين خليل صـ٤٠ مكتبة النور الطبعة الأولى سنة ١٤٠٧هـ ١٩٨٦م.

متكامل، فالاستعمار دوره في الحرب المسلحة، والتنصير دوره الحرب الفكرية، وكلاهما يهدف إلى تغيير الدين والمعتقد.

لقد تظاهر عدد كبير من رجال الدين النصراني بالعمل التبشيري التنصيري، والحقيقة إنه قام بدور قوى لخدمة الاحتلال الغشوم، حين تسربل بثياب الرهبان على جسد وعقلية لمحتل ماكر، فكانت هذه الإرساليات الأجنبية عونا كبيرا لجمع المعلومات العسكرية، وكانت ملابسهم الدينية تحميهم من التهم التي يمكن أن تثار ضدهم، وأغلب القادة الغربيين كانوا أعضاء في حركات التبشير، وهذا يدل دلالة قوية وقاطعة على عمق العلاقة بين التبشير والاستعمار.

٣- بناء الكنائس التابعة للغرب في القدس:

ومن آثار الصليبيين التنصيرية في القدس بعد الحروب الصليبية، أنهم قاموا ببناء عدة كنائس في بيت المقدس، لخدمة النصارى المحتلين والمحليين، وهذه الكنائس لا تزال باقية حتى اليوم، ومن هذه الكناس: (كنيسة القديسة حنا الكائنة بين باب الأسباط وباب حطة، وهي التي يسمونها في يومنا هذا بالكنيسة الصلاحية، وكنيسة القديسة مريم الكبرى، التي بنى الألمان على أنقاضها كنيسة المخلص في الدباغة، وكنيسة القديسة مريم اللاتينية على مقربة من اختها، التي سبق ذكرها عند مدخل سوق الدباغة، وكنيسة الداوية جنوب كنيسة القيامة، ويعتقد المسيحيون أنها كانت في المكان الذي يقوم عليه الآن المسجد العمرى،

وكانت كنيسة القيامة مجزأة فجمعوا أجزاءها تحت سقف واحد، وبنو القبة المعروفة الآن بكنيسة نصف الدنيا)[١].

٤- إقامة المذابح الجماعية:

لقد قام الصليبيون بعدة مذابح جماعية بشعة في كثير من القرى والمدن التي استولوا عليها، وقد سجل ذلك المؤرخون العرب والأوربيون، منها المذبحة الوحشية التي قام بها الصليبيون في بيت المقدس، فيذكر ابن الأثير فيها: (فلما وصلوا إلى بيت المقدس حاصروه نيفا وأربعين يوما، ونصبوا عليهم برجين كبيرين، أحرق المسلمون أحدهما، وقتل كل من فيه، ولكن الصليبيين دخلوا من جهة الشام يوم الجمعة لسبع بقين من شعبان، وركب الناس السيف، ولبث الفرنجة في البلدة أسبوعا يقتلون من المسلمين، قتلوا في المسجد الأقصى- سبعين ألفا، منهم جماعة كبيرة من جماعة المسلمين، وعلمائهم، وعبادهم، وزهادهم ممن فارق الأوطان، وجاوروا بذلك الموضع الشريف) [٢].

كما ذكر ابن كثير أيضا شيئا من هذه المذبحة فقال: (لما كان ضحى الجمعة لسبع بقين من شعبان من سنة ٤٩٢ هـ أخذ الفرنج- لعنهم الله- بيت المقدس وكانوا في نحو ألف ألف مقاتل، وقتلوا في وسطه أزيد من ستين ألف قتيل من

(١) القدس ومعاركنا الكبرى من البداية حتى الحروب الصليبية محمد صبيح صـ٣٧٢ الجزء الأول ط/ مكتبة الشباب.

(٢) الكامل في التاريخ لابن الاثير ١٨٩/١.

المسلمين، وجاسوا خلال الديار، وتبروا ما علوا تتبيرا، فلما علم الخليفة بذلك، ندب الفقهاء لدعوة الناس إلى الجهاد، ولكن ذلك لم يفد شيئا) [١].

كما ذكر هذه الحادثة المؤرخون الصليبيون فذكر وليم الصوري: (أن بيت المقدس شهد مذبحة رهيبة عند دخول الصليبين، حتى أصبح البلد مخاضة واسعة من دماء المسلمين، أثارت رعب الغزاة واشمئزازهم) [٢].

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ١٥٦/١٢.

(٢) الحركة الصليبية وليم الصوري ١٩٢/١.

١- كما وصف ستيفن رنسيمان في كتابه"تاريخ الحروب الصليبية ٤٠٤/١. ما حدث في القدس يوم دخلها الصليبيون فقال: (و في الصباح الباكر من اليوم التالي اقتحم باب المسجد ثلة من الصليبيين، فأجهزت على جميع اللاجئين اليه، وحينما توجه قائد القوة ريموند أجيل في الضحى لزيارة ساحة المعبد أخذ يتلمس طريقه بين الجثث والدماء التي بلغت ركبتيه،وتركت مذبحة بيت المقدس أثرا عميقا في جميع العالم، وليس معروفا بالضبط عدد ضحاياها، غير أنها أدت إلى خلو المدينة من سكانها المسلمين واليهود ؛ بل إن كثيرا من المسيحيين اشتد جزعهم لما حدث).

٢- ذكر "غوستاف لوبون" في كتابه "الحضارة العربية"صـ٣٢٥، نقلا عن روايات رهبان ومؤرخين رافقوا الحملة الصليبية الحاقدة على القدس – ما حدث حين دخول الصليبيين للمدينة المقدسة من مجازر دموية. قال الراهب"روبرت"أحد الصليبيين - المتعصبين وهو شاهد عيان لما حدث في بيت المقدس – واصفا سلوك قومه: (كان قومنا يجوبون الشوارع والميادين وسطوح البيوت ليرووا غليلهم من التقتيل، وذلك كاللبؤات التي خطفت صغارها ! كانوا يذبحون الأولاد والشباب، ويقطعونهم إربا إربا، وكانوا يشنقون أناسا كثيرين بحبل واحد بغية السرعة، وكان قومنا يقبضون كل شيء يجدونه فيبقرون بطون الموتى ليخرجوا منها قطعا ذهبية !!! فيا للشره وحب الذهب، وكانت الدماء تسيل كالأنهار في طرق المدينة المغطاة بالجثث).

٣- وذكر أيضا"صـ٣٢٦-٣٢٧ وقال كاهن أبوس (ريموند داجميل) شامتا: (حدث ما هو عجيب بين العرب عندما استولى قومنا على أسوار القدس وبروجها، فقد قطعت رؤوس بعضهم، فكان هذا أقل ما يمكن أن يصيبهم، وبقرت بطون بعضهم ؛ فكانوا يضطرون إلى القذف بأنفسهم من

ووصف ول ديورانت هذه المجازر الجماعية فقال: (وشاهدنا أشياء عجيبة، إذ قطعت رؤوس عدد كبير من المسلمين، وقتل غيرهم رميا بالسهام، أو أرغموا على أن يلقوا أنفسهم من فوق الأبراج، وظل بعضهم الآخر يعذبون عدة أيام ثم أحرقوا في النار، وكنت ترى في الشوارع أكوام الرؤوس والأيدي والأقدام، وكان الإنسان أينما سار فوق جواده يسير بين جثث الرجال والخيل) (١).

ثم يستطرد ول ديورانت فيقول: (إن النساء كن يقتلن طعنا بالسيوف والحراب، والأطفال الرضع يختطفون بأرجلهم من أثداء أمهاتهم، ويقذف بهم

أعلى الأسوار، وحرق بعضهم في النار ؛ فكان ذلك بعد عذاب طويل، وكان لا يرى في شوارع القدس وميادينها سوى أكداس من رؤوس العرب وأيديهم وأرجلهم، فلا يمر المرء إلا على جثث قتلاهم، ولكن كل هذا لم يكن سوى بعض ما نالوا).

٤-.وقال واصفا مذبحة مسجد عمر: (لقد أفرط قومنا في سفك الدماء في هيكل سليمان، وكانت جثث القتلى تعوم في الساحة هنا وهناك، وكانت الأيدي المبتورة تسبح كأنها تريد أن تتصل بجثث غريبة عنها. ولم يكتف الفرسان الصليبيون الأتقياء (!) بذلك فعقدوا مؤتمرا أجمعوا فيه على إبادة جميع سكان القدس من المسلمين واليهود وخوارج النصارى - الذين كان عددهم ستين ألفا - فأفنوهم عن بكرة أبيهم في ثمانية أيام، و لم يستبقوا منهم امرأة و لا ولدا و لا شيخا).

٥- وذكر أيضا في صـ٣٩٦ يقول: وعمل الصليبيون مثل ذلك في مدن المسلمين التي اجتاحوها ففي المعرة قتلوا جميع من كان فيها من المسلمين اللاجئين في الجوامع و المختبئين في السراديب، فأهلكوا صبرا ما يزيد على مائة ألف إنسان - في أكثر الروايات - وكانت المعرة من أعظم مدن الشام بعدد السكان بعد أن فر إليها الناس بعد سقوط أنطاكية وغيرها بيد الصليبيين).

(١) قصة الحضارة ول ديورانت ٢٥/١٥.

من فوق الأسوار، أو تهشم رؤوسهم بدقها بالعمد، وذبح السبعون ألفا من المسلمين الذين بقوا في المدينة) [١].

وقد قدر ابن الأثير في مذبحة معرة النعمان الضحايا بما يزيد على مائة ألف حيث يقول: (سار الفرنج إلى معرة النعمان فنازلوها وحاصروها، وقاتلهم أهلها قتالا شديدا، فرأى الفرنجة منهم شدة ونكاية في قتالهم، ثم دخلوا المدينة ووضعوا في أهلها السيف ثلاثة أيام، قتلوا فيها ما يزيد عن مائة ألف، وسبوا السبي الكثير)[٢].

وهكذا لم تسلم مدينة من المدن التي وقع فيها صدام وقتال، من البطش والقتل والذبح والتشريد، حتى الأطفال والنساء لم يسلموا من ذلك، وأصبحت هذه المجازر عنوانا للحروب الصليبية، والسبب الرئيسي الذي دفعهم لذلك إنما هو الحقد الدفين على الإسلام وأهله، والتنفيس عما في صدورهم من رواسب باقية من التاريخ تحركها الكنيسة ورجال الدين.

❁❁❁

(١) قصة الحضارة ول ديورانت ٢٥/١٥.

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير ١٨٧/٨، ١٨٨.

٥- بدء حملات التنصير المنظمة:

من أشهر المبشرين الذين قاموا بدور كبير في التنصير وصرف حياته لهذه المهمة ريموند لول حيث إنه بذل مجهودا كبيرا في هذا المجال، يقول آل شاتليه عن ريموند لول: (كان أول من مارس التبشير ضد الإسلام، فجال في بلاده وناقش علماءه) (١).

(حيث سعى بإقناع الملك ميروقة بإنشاء كلية الثالوث المقدس لإعداد المبشرين للعمل ضد الإسلام في الغرب، بتقديم ثلاث عرائض إلى البابا كليمان الخامس لإنشاء كلية لدراسة العربية، وعدد من كراسي تعليم اللغة العربية في الجامعات المختلفة لتكون من أهم وسائل الجدل ضد الإسلام والقرآن، وأفضل الوسائل لتنصير المسلمين، وبالفعل نجحت مشاعر ريموند لول المؤسسية فقد أمر يعقوب الأول ملك ميروقة بإنشاء كلية الثالوث المقدس لإعداد المبشرين، وقام لول نفسه بإعدادهم فيها) (٢).

قام ريموند لول وهو أحد رجال الدين النصارى قبل نهاية الحروب الصليبية بإنشاء معاهد ومدارس بالأندلس سنة ٦٧٥هـ بغرض إعداد رجال مؤهلين للعمل التنصيري بين المسلمين) (٣).

---

(١) الغارة على العالم الاسلامي صـ١٢، ١٣. وانظر الحروب الصليبية في شمال إفريقيا وأثرها الحضاري، د/ ممدوح حسين صـ٤١٥ ط/ دار عمار الأولى ١٩٩٨م.

(٢) الحركة الصليبية، د/ سعيد عاشور ١٢٧٩/٢.

(٣) انظر أثر العامل الديني في توجيه الحركة الصليبية، د/ محمد صالح منصور صـ٣٣٦، منشورات جامعة قاريوس، بنغازي، الطبعة الأولى ١٩٩٦م.

ثم اتجه لول إلى تونس لغرض التنصير، وفشل في مهمته، فعاد إلى البابا وألح عليه أن يتبنى سياسة التنصير في البلاد الإسلامية فأصدر البابا قرارا ينص على أن تعمل الكنيسة على كسب المسلمين وأرضهم بواسطة دراسة لغتهم والتنصير بينهم(١).

وقد ذكر عبد الرحمن بدوي في موسوعة المستشرقين شخصيات أخرى لها دور كبير في التنصير فقال: (إن من أوائل المبشرين الرهبان الجدليين ضد القرآن الراهب الدومينكاني (ريكولدودي مونت كروس) (١٢٤٣-١٣٢٠) الذي بعثه البابا نيقولا الرابع إلى الشرق، فتجول مبشرا في فلسطين، ومجادلا باللغة العربية ضد القرآن، ثم ألف أهم الكتب الجدلية ضد القران بعنوان (الجدل ضد المسلمين والقرآن)) (٢).

لقد قاد العمل التنصيري ضد الإسلام رجال الدين من النصارى، لأنهم أعرف الناس بالدين واللغة مستخدمين كل ما لديهم من إمكانيات، (فأصبحت الكنائس والأديرة مرتكزات وقواعد للعمل التبشيري ولتخريج أهل الجدل الذين يجادلون ضد الإسلام والقرآن) (٣).

---

(١) انظر أثر العامل الديني في توجيه الحركة الصليبية د/ محمد صالح منصور صـ٢٣٧.

(٢) موسوعة المستشرقين عبد الرحمن بدوي صـ٢١١ دار العلم للملايين بيروت ١٩٨٩م.

(٣) المستشرقون للعقيقي١/١٠٤.

وفي مصر (ففي سنة ١٢١٩م قدم إليها القديس (فرانس) في محاولة للتبشير بالنصرانية فيها) [١].

وفي تاريخ التبشير عدد من الأشخاص التي كانت لهم بصمات واضحة على هذا التاريخ ومنهم ريموند لول، روجر بيكون، لويس التاسع) [٢].

لويس التاسع ودوره في وضع خطة التنصير:

عندما فشلت الحروب الصليبية في استخدام القوة في تنصير المسلمين، تحولت الحروب إلى لون آخر ليس فيه دماء، وذلك بناء على وصية لويس التاسع ملك فرنسا عقب فشل الحروب الصليبية: (لقد فشلت الصليبية العسكرية فشلا ذريعا في غزو بلاد المسلمين لتنتهي مرحلة وتبدأ مرحلة أخرى، وضع معالمها ملك فرنسا لويس التاسع، قائد الحملة الصليبية السابعة على مصر(٦٤٧هـ- ١٢٤٩م) حيث أتاحت له معاناته في سجنه بالمنصورة فرصة هادئة، ليفكر بعمق في السياسة التي يجب على الغرب اتباعها بعد ذلك إذا ما فكر في غزو الشرق الإسلامي.

وكانت بنود هذه الوصية، هي تحويل الحملات الصليبية العسكرية إلى حملات صليبية روحية (سلمية) تستهدف الغرض نفسه، ويكون سلاح الحملات الجديدة هو إثارة الخلافات بين الأوساط الإسلامية، وإشاعة التفكك في وحدة

---

(١) المستشرقون ومشكلات الحضارة د/عفاف صبره صـ٢٤، ط/ دار النهضة العربية، مصر ١٩٨٥م.

(٢) انظر التبشير والاستعمار في البلاد العربية د/ عمر فروخ، ود/ مصطفى الخالدى صـ١١٥. نشر المكتبة العصرية بيروت لبنان. بدون تاريخ.

المسلمين، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، أن يتعلم الغرب علوم المسلمين، ثم يهزموهم بأسلحتهم وفنونهم ذاتها، وسمى الأوربيون الحرب الجديدة بالصليبية الروحية، وكانت غاية الصليبية الروحية أن يتعلم الأوربيون علوم المسلمين، فيشوهوا العقائد الإسلامية وتاريخ الإسلام [١].

يقول المؤرخ النصراني (جوانفيل) الذي رافق لويس التاسع: (إن خلوة لويس في معتقله بالمنصورة أتاحت له فرصة هادئة ليفكر بعمق في السياسة التي كان أجدر بالغرب أن يتبعها إزاء المسلمين، وقد انتهى في تفكيره إلى خيوط مؤامرة جديدة على الإسلام تقوم على الأسس الآتية:

أولا: تحويل الحملات الصليبية العسكرية إلى حملات صليبية سلمية تستهدف ذات الغرض، لا فرق بين الحملتين إلا من حيث نوع السلاح الذي يستخدم في المعركة، وكان سلاح الحملات الجديدة هو الدس بين العرب بعضهم وبعض، وإثارة الخلافات في الأوساط الإسلامية، والعمل على بقاء نارها مستعرة بين المسلمين، وهنالك ينهار الإسلام من تلقاء نفسه.

ثانيا: تجنيد المبشرين الغربيين في معركة سلمية لمحاربة تعاليم الإسلام ووقف انتشاره، ثم القضاء عليه معنويا، واعتبار هؤلاء المبشرين جنودا للغرب.

ثالثا: العمل على استخدام مسيحي الشرق في تنفيذ سياسة الغرب.

---

(١) العالم الإسلامي في التاريخ الحديث والمعاصر د/ مصطفى محمد رمضان صـ١٣٠-١٣١. القاهرة ١٤٠٣هـ-١٩٨٢م.

رابعا: العمل على إنشاء قاعدة للغرب في قلب الشرق الإسلامي يتخذها الغرب نقطة ارتكاز لقواته الحربية، ولدعوته السياسية والدينية، وقد اقترح لويس لهذه القاعدة الأماكن الساحلية في لبنان وفي فلسطين) (١).

(وتلفت الوصية الأنظار إلى صعوبة قهر المسلمين عن طريق القوة، بسبب روح الجهاد لديهم، وتوصى بتلمس طريق الغزو الفكري الهادف إلى دحض العقائد الإسلامية وتزييفها) (٢).

يقول الشيخ محمد الغزالي معلقا على خطة لويس في التفكير في الغزو الفكري: (وهكذا غير لويس من أسلوبه مع الإسلام فأخر دور السيف، وقدم دور الخديعة، وجند جيشا من المبشرين لتحويل المسلمين عن إيمانهم، كما أشار إلى ضرورة استخدام نصارى الشرق في الكيد للمسلمين، وضرورة دراسة أحوال المسلمين عن طريق المستشرقين) (٣).

لقد كانت فشل الحملة الأخيرة التي قادها لويس التاسع إيذانا بتقلص حملات النصارى الصليبين على الشرق المسلم، واللجوء إلى وسائل أخرى جديدة مبتكرة

---

(١) حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر، أحمد عبد الوهاب صـ١٥٤. ط/ مكتبة وهبة ط/ الأولى ١٤٠١هـ ١٩٨١م.

(٢) أساليب الغزو الفكري د/ على جريشة ومحمد الزيبق صـ٢١. ط/ الثانية ط/ دار الاعتصام القاهرة.

(٣) ظلام من الغرب/ الشيخ محمد الغزالي صـ١٥٦. ط/ دار القلم بيروت لبنان.

تحقق الأهداف بأقل الخسائر، وقد نجحوا في ذلك إلى حد كبير، حيث كانت هذه الوسائل تمهيدا للحروب المستقبلية التي وقعت في العصر الحديث.

ولا شك أن حركة التنصير حركة متطورة، تقوم على تطوير الخطط والوسائل، خاصة كلما أحست أن خيوطها قد انكشفت، وقد فكر المنصرون في تطوير سلاح التنصير إلى سلاح جديد يتسم بالليونة والمرونة، وهو الاستشراق الذي هو أحد أجنحة الغزو الفكري.

ظهور الغزو الفكري، بدايته وتطوره:

لقد أدرك الصليبيون أن سر القوة عند المسلمين يكمن في الدين الإسلامي، وما يمثله من عقيدة قوية تجعل المسلم يدافع عن دينه وعرضه ووطنه حتى آخر قطرة من دمه، فوجه الأعداء الحرب من المسلمين إلى الإسلام كعقيدة ومنهج حياة، فحاولوا تخريب العقيدة، وزعزعة الإيمان من القلوب، حيث وجدوا أن الإسلام لا يواجه بالقوة والعنف، وإنما يواجه بالغزو الفكري والمكر، فوضعت الخطط والوسائل للغزو الفكري.

لقد فشلت الحروب الصليبية من الناحية العسكرية، لكنها بدأت في التحرك مباشرة نحو الناحية الفكرية، بكل مالها من علم وقوة، مع الروح العدائية للإسلام.

ومن الواضح أن الغزو الفكري يفوق الغزو العسكري بمراحل، لأن معاركه هادئة لا دامية، حيث لا يبذل فيها قطرة من دم، فهو أقل تكلفة من العسكري،

ولأنه يغزو العقول في خفاء دون مواجهة، كما أنه يغزو المجتمع المسلم من الداخل، على لسان رجل عربي مسلم، لا يتوقع منه التغريب، أو العمالة للغرب، كما أنه أطول أثرا وأكثر ضررا، حيث يمتد مئات السنين، فهم يهدفون إلى إعداد جيل جديد من الشباب، يتربى ويعيش على الثقافة الغربية في كل شؤون حياتهم، كما أن علاج آثار الغزو الفكري أصعب بكثير، من علاج آثار الغزو العسكري المسلح.

يقول د/ سعد الدين صالح كاشفا عن خطورة الغزو الفكري على الإسلام والمسلمين بعد تحولهم عن الصدامات العسكرية: (إذا لا بد أن توجه الحرب إلى الإسلام نفسه كدين وعقيدة ومنهج حياة وعادات وتقاليد، ولا بد من زعزعة الإسلام من قلب المسلم، وتغريب العقيدة في نفوس المسلمين، أو بمعنى آخر قالوا: لابد من القضاء على الإسلام كعقيدة وشريعة ونظام، ليسهل القضاء على المسلمين كقوة) (١).

لقد أيقن المستعمرون أن خططهم العسكرية لا تنجح في تحقيق أهدافها، والاستيلاء على العالم الإسلامي إلا بعد القضاء على المقومات الروحية والمعنوية، ففكروا في تغيير المناهج والوسائل، وهو اللجوء إلى الدراسات الاستشراقية من أجل التأثير بطريقة غير مباشرة على فكر المسلمين، ثم التشكيك في الدين

(١) احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، د/ سعد الدين صالح صـ٣٥.

وتعاليمه، فتحولت المعركة من ميدان السلاح والمواجهة، إلى ميدان الفكر والحيل، والبحث عن الثغرات التي ينفذون من خلالها إلى المسلمين.

والتنصير يغير من شكله، ويطور من خططه، ويجدد من وسائله، حتى لا تنكشف أوراقه لدى العامة، فيقفوا منه موقف العداء المباشر، تقول د/ زينب عبد العزيز: (لقد تغيرت مسميات التبشير على مر العصور وفقا للظروف السياسية والاجتماعية، ففي القرن السادس عشر كانت تتم تحت زعم (إنقاذ أرواح البشر من الجحيم) ثم اختصرت إلى عبارة (انقاذ الأرواح) وتعليمها الإنجيل لإدماجها في الكنيسة.

وفي مطلع هذا القرن تغيرت العبارة لتصبح (غرس الكنيسة) ثم تحولت إلى (غرس الإنجيل) وفي المجمع الفاتيكاني المسكوني الثاني اتخذت تركيبة أكثر التواءً لتصبح (توصيل الإنجيل لكافة البشر) مع تغيير الشكل المباشر القهري للتبشير إلى نمط جديد قائم على المعايشة واللجوء الى (الحوار) لتتم عملية التنصير بأقل قدر ممكن من المقاومة) [1].

❁❁❁

(١) تنصير العالم د/ زينب عبد العزيز صـ٩٧ ط/ دار الوفاء الأولى سنة ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.

المبحث الخامس

أهم شبهات القساوسة والمنصرين حول الإسلام.

لقد عمل القساوسة ورجال الدين من النصارى على إثارة شبهات كثيرة حول الإسلام عقيدة وشريعة، فقاموا باختلاق الشبهات وتضخيمها، والترويج لها، وبثها بين المسلمين، بقصد تشكيك المسلمين في دينهم وعقيدتهم وإيمانهم، وتنفير النصارى منه وتشويه تعاليمه وتشريعاته.

ولا شك أن هذا أسلوب قديم استخدمه أعداء الإسلام في العصر النبوي وما بعده، ولا يزالون يستخدمونه إلى الآن، وقد أشار القرآن الكريم إلى غايتهم من ذلك قال تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ (١).

وفي فترة الحروب العسكرية، حينما تشتد المعارك والصدامات، تثار هذه الشبهات بين الحين والحين، علها تجد منفذا في الوصول إلى عقول المسلمين وقلوبهم، وإشغالهم بها.

فكان هناك خط مواز للمعارك الحربية، متمثلا في المعارك الجدلية والمناظرات بين القساوسة وبين علماء المسلمين، التي كشفت هذه المناظرات والحوارات عن ظهور عدد كبير من أعلام المسلمين، الذين تخصصوا في الدفاع عن الإسلام، والرد على الشبهات المثارة في عصرهم.

---

(١) سورة الصف الآية (٨).

وهذا جانب من جوانب الحرب الفكرية التي لا تقل خطرا عن الحرب العسكرية، ومن ثم يجب معرفة ما أثاره المنصرون حول الإسلام، حتى يمكن دفع هذه الشبهات بالرد عليها، وقد تناولت أبرزها، سواء كان في الجانب العقدي، أو التشريعي، وأشهر العلماء الذين قاموا بالرد عليها باختصار شديد، حتى لا يتسع البحث، ومن هذه الشبهات ما يأتي:

١ - شبهة أن الإسلام للعرب فقط(١):

ادعى القساوسة من النصارى أن دعوة الإسلام جاءت للعرب فقط، وليس دعوة عالمية حيث إن القرآن عربي، والنبي عربي، ونزل في بيئة العرب، واستدلوا بآيات من القران الكريم في غير موضعها، دون أن يقفوا على حقيقتها، فاستدلوا بقوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ ﴾(٢). وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾(٣). وقال تعالى: ﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ ﴾(٤). وقال تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾(٥).

---

(١) لمزيد من التوسع في الردود على هذه الشبهات انظر دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية د/ سليمان بن عبد الله بن صالح الرومي ١/٣١٣-٣٥٤ ط/ مكتبة الرشد ط/ الأولى ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

(٢) سورة يوسف الآية (٢).

(٣) سورة إبراهيم الآية (٤).

(٤) سورة السجدة الآية (٣).

(٥) سورة الشعراء الآية (١١٤).

ثم يقول أحد النصارى: (لا يلزمنا إلا ما جاء بلساننا، وآتانا بالتوراة والإنجيل بلغتنا) [١].

وقد ورد أيضا في رسالة لأحد كتاب النصارى وجهها إلى المسلمين في هذه الفترة قوله: (إن محمدا لم يبعث إلينا فلا يجب علينا اتباعه) [٢].

وهذه الشبهة مردود عليها من القرآن والسنة والواقع والتاريخ، بردود قوية مفحمة، وقد قيض الله عددا من علماء المسلمين في تلك الفترة قاموا بالرد على هذه الشبهة ودحضها، من بينهم الإمام القرافي في كتابه الأجوبة الفاخرة في الرد على الأسئلة الفاجرة[٣].

وهذه بعض الردود المختصرة مما ذكره القرافي -رحمه الله-: (إنه وردت آيات كثيرة تدل على عموم الرسالة، فإذا كان النصارى يعتقدون أصل الرسالة لكنها مخصوصة بالعرب يلزمهم التعميم لهذه الآيات، لقوله تعالى: (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا) [٤].

---

(١) الأجوبة الفاخرة في الرد على الأسئلة الفاجرة للقرافي صـ٩. بدون تحقيق. ط/ المكتبة العلمية بيروت، ط/ الأولى ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

(٢) الأجوبة الفاخرة للقرافي صـ٩.

(٣) انظر الأجوبة الفاخرة في الرد على الأسئلة الفاجرة، للإمام القرافي، تحقيق د/بكر زكي عوض، الباب الثاني في نص الشبهة والرد عليها.

(٤) سورة سبأ الآية (٢٨). الأجوبة الفاخرة القرافي صـ١١.

كما كان من رد القرافي أيضا قوله: (إن الحكمة من إرسال الرسل عموما بألسنة أقوامهم ليكو ذلك أبلغ في الفهم بينه وبينهم حتى تقوم الحجة، وتزول الشبهات، ويحصل البلاغ، ليكون ذلك أدعى إلى فهم غيرهم) (١).

ثم يقول: (وهناك فرق بين قوله تعالى: (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه). وبين أن يقال: وما أرسلنا من رسول إلا لقومه، فالقول الثاني هو المفيد لاختصاص الرسالة بهم لا الأول) (٢).

ثم يقيم القرافي الحجة الدامغة عليهم فيقول: (إنه لو صح ما احتج به هذا النصراني من كون القرآن عربيا والنبي عربي يتكلم العربية فهو مرسل إلى العرب، لكان النصارى كلهم مخطئين في اتباع أحكام التوراة، فإنها نزلت بغير لسانهم، وكذلك القبط والحبشة ما علموا التوراة والانجيل إلا كما يعلم الروم اللسان العربي بطريق التعليم) (٣).

٢- شبهة أن القرآن الكريم أورد تعظيم النصارى وأثنى عليهم:

أثار بعض رجال الدين من النصارى هذه الشبهة، ووجهوها إلى المسلمين في عصر الحروب الصليبية حيث قالوا: إن القرآن أورد تعظيم النصارى وأثنى عليهم، حيث قدم بيع النصارى على مساجد المسلمين في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ

(١) الأجوبة الفاخرة القرافي صـ٩.

(٢) سورة إبراهيم الآية (٤). لأجوبة الفاخرة القرافي صـ١٠.

(٣) الأجوبة الفاخرة القرافي صـ١٠.

ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴾[1].

وذكروا أيضا أن القرآن الكريم عظم التوراة والإنجيل في آيات كثيرة منها: ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾[2].

ومن تعظيم القرآن الكريم للإنجيل كما في قوله تعالى: ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ ﴾[3]. والمقصود من الكتاب هو الإنجيل.

والقرآن كذلك مدح النصارى في قوله تعالى: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ﴾[4]. وقال تعالى: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[5].

وقد قام الإمام القرافي أيضا بالرد على هذه الشبهة وتفنيدها في كتابه السابق.

---

(١) سورة الحج الآية (٤٠).
(٢) انظر سورة المائدة الآيات (٤٦- ٤٨- ٨٢).
(٣) سورة آل عمران الآية (١٨٤).
(٤) سورة المائدة الآية (٨٢).
(٥) سورة العنكبوت الآية (٤٦).

ومن بين الردود على هذه الشبهة قول القرافي في معنى الآية الأولى: (إن الله يدفع المكاره عن الأشرار في كل زمان بوجود الأخيار، فزمن موسى عليه السلام يسلم أهل الأرض من بلاء يعمهم بسبب من فيهم من أهل الاستقامة، وإلا لعمهم البلاء وهدمت صوامع يعبد الله فيها على الدين الصحيح، حسب الشريعة الموسوية، وكذلك زمان عيسى وزمان محمد ﷺ)[١].

وقال القرافي فيما يتعلق بتقديم الصوامع والبيع على المساجد: (إن ذلك ليس لأفضليتها، بل على العكس، فتأخيرها لأفضليتها ومكانتها، نظير قول القائل: (فلان يغالب المائة والألف) وقولهم: (لا أبخل عليك بالدرهم والدينار) فالترتيب من الأدنى إلى الأعلى، وتأخير المساجد لشرفها، وإن هدمها أعظم من هدم غيرها) ثم يقول: (والآية خصت المساجد بمزيد فضل إذ بينت أنه يذكر اسم الله فيها كثيرا، حيث إن الضمير في اللغة العربية يعود إلى أقرب مذكور، وأقرب مذكور في الآية إلى هذا الوصف هو المساجد) [٢].

وبين القرافي في قوله تعالى: (والكتاب المنير) أن (أل) لاستغراق الجنس، إشارة إلى جميع الكتب المنزلة المتقدمة) [٣]. وبين أن المقصود بالكتب: (المنزلة لا المبدلة التي بأيدي النصارى، إذ هي في غاية الوهن والضعف، وسقم الحفظ

(١) الأجوبة الفاخرة القرافي صـ١٨.
(٢) الأجوبة الفاخرة القرافي صـ ١٨- ١٩.
(٣) الأجوبة الفاخرة القرافي صـ ٢١.

والرواية، وانقطاع السند، بحيث لا يوثق بشيء منها) [١]. وأما قوله تعالى: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [٢]. فوضح القرافي أن المراد: (تصديق الكتب المنزلة لا المبدلة وهذا لا يمترئ فيه عاقل) [٣].

وأما قوله (ولا تجادلوا...) فبين القرافي: (أن في ذلك دليلا على أنهم على الباطل، ولو كانوا على الحق ما احتاج المسلمون إلى جدالهم) [٤].

وقال القرطبي في قوله تعالى (ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا): (هذه الآية نزلت في النجاشي وأصحابه لما قدم عليه المسلمون في الهجرة الأولى) [٥].

ومن خلال هذه الردود القوية، يتضح أن هذه الشبهة ما هي إلا استدلالات في غير موضعها، وهي ناتجة عن سوء فهم لمعاني آيات القرآن الكريم، وعدم الرجوع إلى كتب التفسير الصحيحة والمعتمدة عند العلماء.

٣- شبهة حول تعدد الزوجات في الإسلام:

أثار أحد قساوسة النصارى شبهة تعدد الزوجات في الإسلام، فكتب رسالة إلى أبي عبيدة الخزرجي في عصر الحروب الصليبية ذكر فيها: (إن المسلمين خالفوا

---

(١) الأجوبة الفاخرة القرافي صـ ٢١.

(٢) سورة المائدة الآية (٤٦).

(٣) الأجوبة الفاخرة للقرافي صـ٢١.

(٤) الأجوبة الفاخرة للقرافي صـ ٢٩.

(٥) القرطبي في تفسيره للآية المجلد الثالث الجزء السادس صـ١٦٥.

فعل آدم عليه السلام أبي البشر الذي لم تكن له إلا زوجة واحدة، وخالفوا التوراة وذلك بإباحة التعدد) (١).

وقد قام بالرد على هذه الشبهة عدد كبير من علماء المسلمين في تلك الفترة، أمثال أبي عبيدة الخزرجي في كتابه مقامع الصلبان ومراتع رياض أهل الإيمان، والإمام القرطبي في كتابه، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام.

قال أبو عبيدة الخزرجي في الرد على شبهة التعدد: (فإن الذي أمرنا الله به من النكاح وسن لنا الطلاق ليس لعاقل انتقاده، لأن قبولنا لذلك إنما هو بعد ثبوت الأصل) (٢).

وقال الخزرجي أيضا: (إن اقتصار آدم عليه السلام على زوجة واحده ضرورة لعدم وجود أخرى ولذلك زوج ابنه بنته) (٣).

وقد أشار القرطبي إلى تعريض أحد كبارهم بإباحة التعدد في الإسلام، يقول هذا النصراني عن النبي ﷺ: (ثم أمر بالإكثار من النساء ورخص في طلاقهن وأحل تزويج المطلقات) (٤).

---

(١) انظر مقامع الصلبان ومراتع رياض أهل الإيمان، لأحمد بن عبد الصمد الخزرجي صـ٧٩ تحقيق د/ محمد شامة بعنوان، بين الإسلام والمسيحية. ط/ مكتبة وهبة، الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

(٢) مقامع الصلبان للخزرجي صـ ٢٦٢.

(٣) مقامع الصلبان للخزرجي صـ ٢٦٣.

(٤) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، وإظهار محاسن دين الإسلام، للإمام محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق د/ أحمد حجازي السقا، صـ٤٨٨. ط/ مكتبة الحرمين، الرياض السعودية.

وقال القرطبي في الرد على هذه الشبهة وبيان أن التعدد ضرورة: (فذلك ما لا ينبغي أن ينكره أحد من العقلاء، فإنه من مجوزات العقول، وقد ورد بذلك الشرع الصادق المنقول) (١).

ثم يقول: (إن التعدد فيه من الحكم ما يجل عن الحصر منه، تكثير النسل، وعمارة الدنيا بالذرية الصالحة) (٢).

ثم يقول القرطبي: (ألم يجئ في التوراة أن إبراهيم كانت له ساره وهاجر، وكذلك ما ورد فيها أن يعقوب كانت له ليئة وراحيل، وقد ثبت أيضا أن سليمان كانت له مائة امرأة أو تسعة وتسعون) (٣).

ثم يقول القرطبي: (فإن كذبتم شرعنا لأجل أنه اشتمل على جواز نكاح كثيرة، فتكذب بنبوة إبراهيم ويعقوب وسليمان، ولا فرق بين نبينا وبين هؤلاء الأنبياء في أن كل واحد منهم رسول يبلغ حكم الله) (٤).

٤- شبهة حول انتشار الإسلام بالسيف:

من بين الشبه التي أثارها رجال الدين النصارى أيضا، دعوى انتشار الإسلام بالسيف، ففي رسالة أحد القساوسة إلى أبي عبيدة الخزرجي قال: (ودين الصليب فشا في الأرض دون سيف ولا قهر، ودينكم إنما ظهر بالسيف والقهر

(١) الإعلام للقرطبي صـ ٤٥٤.
(٢) الإعلام للقرطبي صـ ٤٠٥.
(٣) الإعلام للقرطبي صـ ٤٥٤.
(٤) الإعلام للقرطبي صـ ٤٥٤، ٤٥٥.

في الأرض)[١]. وقد تصدى الخزرجي والقرافي والقرطبي للرد على هذه الشبهة في كتبهم السابقة.

قال القرافي: (لو التزموا شريعتهم في المسألة لم تقم لهم قائمة، ولم يبق منهم باقية) [٢].

وقال الخزرجي يرد على أحد القساوسة: (فكأنك قد غفلت عما كتبه مؤرخوكم وغيرهم من أن ابتداء جيلكم كان بأسباب القتال مع اليهود وكنتم تحرقونهم بالنيران وتغرقونهم في البحار وتعملون فيهم جميع أنواع الذل والهوان ولولا ذلك لم يبق لكم اليهود أثرا) [٣].

وأورد الخزرجي نصوصا من الإنجيل في الرد عليهم مثل ما جاء في إنجيل متى: (لاَ تُقَاوِمُوا الشَّرَّ، بَلْ مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الأَيْمَنِ فَحَوِّلْ لَهُ الآخَرَ أَيْضًا)[٤].

وجاء في إنجيل متى أيضا: (وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَاصِمَكَ وَيَأْخُذَ ثَوْبَكَ فَاتْرُكْ لَهُ الرِّدَاءَ أَيْضًا. وَمَنْ سَخَّرَكَ مِيلا وَاحِدًا فَاذْهَبْ مَعَهُ اثْنَيْنِ. مَنْ سَأَلَكَ فَأَعْطِهِ، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَقْتَرِضَ مِنْكَ فَلاَ تَرُدَّهُ. سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: تُحِبُّ قَرِيبَكَ وَتُبْغِضُ عَدُوَّكَ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ) [٥].

---

(١) مقامع الصلبان للخزرجي صـ١١٥.

(٢) الأجوبة الفاخرة للقرافي صـ٨٩.

(٣) مقامع الصلبان للخزرجي صـ٢٨٥.

(٤) إنجيل متى ٥ (٣٩).

(٥) إنجيل متى ٥ (٤٠-٤٤).

ثم عقب الخزرجى بقوله: (ومع ذلك فإنا نراكم أي النصارى أشد الناس تكالبا وحرصا على القتل والقتال وبسط الأيدي والاعتساف في أقطار الأرض، تقتلون النفوس وتسلبون الأموال مع تحريم إنجيلكم ذلك عليكم، إجابة الاستسلام لأعدائكم، ومن استحل حرمات الله تعالى فهو أشد الناس كفرا بالله وكتبه وأحكامه) (١).

وقال الخزرجى: (فإن كنت قلت ذلك لتعيب على الإسلام فإنك عبت موسى بن عمران، ويوشع بن نون، ومن قبلهما، ومن بعدهما من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فإنهم حاربوا الأمم الطاغية ببلادهم) (٢).

وقال القرطبي: (أعجب من ذلك دعواهم انتشار الإسلام بالسيف، تلبسهم بالقتال، والإكثار منه أبد الدهر إلى اليوم، وهم مع ذلك يدعون أن القتال غير مشروع لهم، ويذمون الشريعة التي جاءت به، فهم قد ناقضت أفعالهم أقوالهم، وشهد على كذبهم أحوالهم) (٣).

٥- شبهة حول جمع القرآن الكريم وقراءاته:

لا شك أن القرآن الكريم هو أهم مصادر القوة عند المسلمين، وأن تمسكهم به يجعل لهم القوة والسيطرة، وهذا الأمر دفع كثيرا من المنصرين إلى توجيه سهامهم نحوه بقوة، فبحث الخصوم في كتب التراث وتصيدوا الأفكار الشاذة، والأراء

(١) مقامع الصلبان للخزرجي صـ٢٨٦.
(٢) مقامع الصلبان للخزرجي صـ٢٨٥.
(٣) الإعلام للقرطبي صـ ٤٥٢.

الضعيفة والموضوعة، وبنوا عليها شبههم حول الإسلام، فيقولون: كان ابن مسعود يكتب في صحيفته تفسيرا لكلمات القرآن، ويظنها بعض الصحابة أنها من القرآن، فتختلط الأمور عليهم، فتنازع الصحابة حول ذلك، ورفضوا أن يكتب أي شيء مع القران، فأثار النصارى هذه الشبهة، وقاموا بتصديرها إلى المسلمين، ظانين منهم أنهم يضربون الإسلام في مقتل(١).

وقد قال النصارى أيضا: (إن تعدد القراءات على سبعة قراء أشد من اختلاف الأناجيل عن أربعة رجال) (٢).

وقد قام السادة العلماء السابقون بالرد المفصل على هذه الشبهة في كتبهم السابقة. ومن هذه الردود ما ذكره القرافي في الرد على هذه الدعوى، مبينا أن خلاف ابن مسعود ﷺ للصحابة ليس في إثبات شيء ليس من القرآن، أو حذف شيء منه، إذ القرآن معلوم لجميع الصحابة بالتواتر، إنما الخلاف في أن ابن مسعود ﷺ كان يقرأ القرآن ويضم إليه تفسيره وكان يقرؤها: (فصيام ثلاثة أيام متتابعات) فنازعه الصحابة لذلك حرصا منهم ألا يضاف إلى القرآن ما ليس منه، وكان الصواب معهم، وهذا من حفظ الله لكتابه كما وعد قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ (٣).

(١) انظر الأجوبة الفاخرة للقرافي صـ٩٨.
(٢) انظر الأجوبة الفاخرة للقرافي صـ٩٧.
(٣) سورة الحجر الآية (٩).

وبخصوص القراءات فقد قال القرافي: (إنها جميعا متلقاه عن النبي بالتواتر، ثم إن هذا التعدد من رحمة الله بعباده، إذ قبائل العرب حين نزول القرآن كانت مختلفة اللهجات، بين التفخيم والمد والقصر والإخفاء والإمالة، وإعمال العوامل الناصبة والرافعة والجارة، ولو كلفوا كلهم بلهجة واحدة لشق عليهم) (١).

وأما تشبيه النصارى اختلاف القرآن باختلاف الأناجيل فقال القرافي: (الأناجيل لم تنقل إلينا بالتواتر كالقرآن الكريم، بل نكاد نجزم بأن أكثرها ليس منزلا، وما هو إلا تواريخ وكلام كهنة وملوك حشرها النصارى في الأناجيل وزعموا أنها من الكتاب المنزل، ولذلك لم يجز المسلمون أن يجعلوا شيئا من الأحاديث مع صحتها مختلطة بالقرآن، ولا قول أحد من الصحابة، ثم يقول فلا تشبهوا أنفسكم بنا، فو الله ما اجتمعنا في شيء من هذا، بل أنتم في غاية الإهمال ونحن في غاية الاحتفال) (٢).

كما عكف عدد آخر من المنصرين على إجراء دراسات وبحوث حول القرآن الكريم بقصد الطعن بمصدره، ومساواته بالنصوص البشرية في النقد، أو العهدين القديم والجديد، (وقد حرص مجادلو التنصير في هذا المجال على إرجاع كل كبيرة وصغيرة في القرآن إلى مصدر سابق، سواء كان دينيا أو غير ديني، وقد دارت مصادرهم المقترحة حول مصادر ستة:

---

(١) الأجوبة الفاخرة للقرافي صـ ٩٨.

(٢) الأجوبة الفاخرة للقرافي ٩٨-٩٩.

١- الوسط الوثني في شبه جزيرة العرب، وعلى الأخص شعر أمية بن أبي الصلت.

٢- الحنفاء.

٣- الصابئة.

٤- الزرادشتية وديانات الهند القديمة

٥- النصرانية

٦- اليهودية)[١].

وأغلب شبهات المبشرين حول القرآن الكريم تدور حول أصالة القرآن، وذلك باتهامه بأنه مستمد من التوراة والإنجيل[٢].

---

(١) أراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره دراسة ونقد/ د.عمر بن إبراهيم رضوان، ٢٣٧/١ وما بعدها باختصار. ط/ دار طيبة للنشر والتوزيع بالسعودية.

(٢) انظر الباب الثاني من الأجوبة الفاخرة في الرد على الأسئلة الفاجرة، وهو يستغرق أكثر من مائة صفحة من النسخة المطبوعة المحققة، وهو يدور حول: (أسئلة لأهل الكتاب، النصارى واليهود، عادتهم ولعون بإيرادها، غير أسئلة الرسالة المذكورة، والجواب عنها، ليكون الواقف على هذا الكتاب قد أحاط بجميع ما يسأل عنه أهل الكتاب وأجوبته الحقيقية اليقينية) مقدمة كتاب الأجوبة الفاخرة في الرد على الأسئلة الفاجرة للإمام القرافي، تحقيق د/بكر زكي عوض صـ٤٨، ٤٩.

ومن الكلمات المشهورة عن قادة التنصير في العصر الحديث لبيان موقفهم من القرآن الكريم ما يأتي:

١- يقول غلادستون: ما دام هذا القرآن موجودا، فلن تستطيع أوربا السيطرة على الشرق، ولا أن تكون هي نفسها في أمان.

ومن هنا نجد أن العلماء المعاصرين لتلك الحروب أمثال القرافي، والخزرجي والقرطبي وأقرانهم، قاموا بالرد القوي الواضح، والحجج الدامغة، على هذه الشبه حتى لا يكون لهم منفذ أو طريق إلى قلوب المسلمين وعقولهم.

٦- شبهه حول الطلاق في الإسلام:

انتقد عدد من القساوسة النصارى الطلاق في الإسلام خاصة الطلقة البائنة (الثالثة) كيف لا يحل لزوجها أن يراجعها إلا بعد أن تنكح زوجا غيره، وهم يعتبرون ذلك مخالفا لما نادى به المسيح، حيث نسب إليه (لا ينبغي للرجل طلاق زوجته إلا أن تزني وإن زنت فعلا فلا يحل له مراجعتها ومن طلق امرأته فقد جعل لها سبيلا إلى الزنى، ومن زوج مطلق فهو فاسق بها) [1].

٢- ويقول المبشر وليم جيفورد بالكراف: متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب، يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في طريق الحضارة الغربية بعيدا عن محمد وكتابه.

٣- ويقول المبشر تاكلي: يجب أن نستخدم القرآن، وهو أمضى سلاح في الإسلام، ضد الإسلام نفسه، حتى نقضى عليه تماما، يجب أن نبين للمسلمين أن الصحيح في القرآن ليس جديدا، وأن الجديد فيه ليس صحيحا.

٤- ويقول الحاكم الفرنسي في الجزائر بمناسبة مرور مائة عام على احتلالها: يجب أن نزيل القرآن العربي من وجودهم. ونقتلع اللسان العربي من ألسنتهم، حتى ننتصر عليهم.

انظر فيما سبق قادة الغرب يقولون دمروا الإسلام أبيدوا أهله جلال العالم صـ٤٧. ط/ دار السلام١٤١٣هـ-١٩٩٤م.

(١) إنجيل متى ١٩ (٩-١٠).

وقد قام الإمام القرطبي بالرد على هذه الشبهة حيث بين: (إن التوراة فيها التصريح بالطلاق، وإنه جائز لجواز اختلاف الشرائع في بعض الأحكام، لما يعلمه الله من اختلاف الأحوال والمصالح) (١).

كما بين القرطبي (إن الإسلام شرع الطلاق إلا أنه مكروه، فعلى المسلم أن يتحاشاه قدر استطاعته، وإذا كان لابد منه فلا يكثر ويتمادى فيه) (٢).

وأما لماذا لاتحل المطلقة ثلاثا لزوجها الأول إلا بعد أن تنكح زوجا غيره، فقال القرطبي: (إن ذلك من رحمة الله إذ جعله عقوبة للرجل الذي يتمادى في إيقاع الطلاق، فإذا علم الزوج أنه إذا أكثر من هذا المكروه الذي هو الطلاق، عوقب بتفويت زوجته عليه ارتدع عن التمادي فيه) (٣).

٧- شبهة حول وصف المسلمين بالوثنية:

صدر هذا الوصف من أكثر من رجل من رجال الدين المسيحي، ففي خطاب للبابا أوربان الثاني أمام مجمع كليرمونت بفرنسا وهو يحرض الصليبيين على قتال المسلمين (بأن ذنوبهم وخطاياهم سوف تغفر... في خضم قتالهم ضد الوثنيين) ثم يقول: (يا له من عار إذا قام جنس خسيس تستعبده الشياطين بهزيمة شعب يتحلى بإيمان عظيم الرب) (٤).

---

(١) الإعلام للقرطبي صـ٢٢٢ .

(٢) الإعلام للقرطبي صـ٢٢٤ .

(٣) الإعلام للقرطبي صـ٢٢٤ .

(٤) الوجود الصليبي في المشرق العربي فوشيه شارتر صـ٩٣.

كذلك قال فوشيه شارتر أحد مؤرخي الحروب الصليبية الفرنج، وأحد قساوستهم المشهورين والذي شارك في الحروب الصليبية: (بذل جهودا قوية لطرد الوثنيين من أراضي المسيحيين) (١).

وقال وليم الصوري: (فقد غلب في جميع خطبهم وخطاباتهم وصف المسلمين بالكفرة والوثنيين) (٢).

وقام بالرد على هذه الشبهة عدد من علماء المسلمين ومنهم الإمام الجعفري حيث يقول: (الحمد لله الذي لا يتكثر بالأعداد، الماجد الذي لا تضارعه الأشكال والأنداد، المقدس عن الشريك والصاحبة والأولاد، المنزه عن الذات والصفات عما يقوله أهل الإلحاد) (٣).

وكذلك قام أبو عبيدة الخزرجي بإصدار كتابه الشهير مقامع الصلبان بمقدمة يرد فيها على أحد القساوسة ويؤكد فيها أن الإسلام رسالة توحيد فيقول: (بسم الله الرحمن الرحيم إله فرد صمد لم يلد ولم يكن له كفؤا أحد، سلام على المهتدين، والحمد لله رب العالمين، فضلنا على جميع الأجناس، نوحد الله بموجبات توحيده، ونمجده سبحانه حق تمجيده) (٤).

---

(١) الوجود الصليبي في المشرق العربي فوشيه شارتر صـ٩٦.

(٢) الحروب الصليبية وليم الصوري ترجمة حسن حبشي ٢/٢٥١.

(٣) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل/ صالح بن الحسين الجعفري تحقيق د محمود قدح ١/٨٧.

(٤) مقامع الصلبان للخزرجي صـ١٢.

فأين توحيد الإسلام من تثليث النصارى، ومن قانون الأمانة، وادعائهم ألوهية المسيح ومن هنا يتضح أن الإسلام رسالة توحيد صرف في كل شيء، وأما الشبه التي تثار فلا دليل عليها ولا برهان، وإنما هي من باب الحسد والغيرة، قال تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ﴾[١].

وقد ترتب على جهود هؤلاء العلماء في الوقوف أمام هذه الشبهات والرد عليها، دخول أعداد كبيرة من النصارى في الإسلام، فضلا عن عدد كبير من رجال الدين النصراني.

ومن هؤلاء ما يأتي:

١- إسلام الراهب عبد الله الأرمني على يد الشيخ عبدالله اليونيني المتوفى عام ٦١٧هـ وكان زاهدا ورعا فيه تصوف[٢].

٢- إسلام أحد علماء النصارى على يد الشيخ مختار بن محمود الزاهدي في خوارزم[٣].

٣- إسلام عبد الواحد الصوفي عام ٦٣٩هـ وكان قسيسا في كنيسة مريم بدمشق وعمره نحو سبعين سنة[٤].

---

(١) سورة البقرة الآية (١٠٩).

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ١٣/١٥٢-١٥.

(٣) البداية والنهاية لابن كثير ١٣/١٦٩.

(٤) الدعوة إلى الإسلام توماس أرنولد صـ١٠٧. ترجمة حسن إبراهيم حسن وعبد الحميد عابدين، ط/ مصر ١٩٤٧.

٤- إسلام دانيال أسقف خابور في منتصف القرن الثالث عشر الميلادي[١].

٥- وقد ذكر توماس أرنولد عن بعض المصادر الغربية: (كثرة اعتناق القساوسة الصليبيين للإسلام في أثناء فترة الحروب الصليبية) [٢].

٦- قال سبط بن الجوزي، سمعت جدي على المنبر يقول: (بأصبعي هاتين كتبت ألفي مجلدة، وتاب على يدي مائة ألف، وأسلم على يدي، نحو مائتين من أهل الكتاب[٣].

ومع إسلام بعضهم فقد تأثر عدد كبير منهم بعادات المسلمين وتقاليدهم، ومحاولة التخلق بأخلاق المسلمين، وقد أدت هذه الجهود المبذولة إلى تحويل نظرة بعضهم من التعصب إلى الواقعية والانصاف.

ومن هنا نلحظ أهمية وجود العلماء الثقات، الذين يقومون بالرد على الشبهات ودحضها، حتى يغلقوا الطريق على الخصوم، فلا يستطيعون أن يؤثروا في عقائد المسلمين أو شريعتهم.

أبرز العلماء المعاصرين للحروب الصليبية الذين تصدوا لشبهات المنصرين:

لقد قام عدد كبير من العلماء بالرد على الشبهات المثارة من القساوسة والمنصرين في فترة الحروب الصليبية وما بعدها، ومن بين هؤلاء العلماء ما ياتي:

---

(١) الدعوة إلى الإسلام توماس أرنولد صـ١٠٧.

(٢) الدعوة إلى الإسلام توماس أرنولد صـ١١٢.

(٣) سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي ٢٧٠/٢١. ط/ مؤسسة الرسالة، الطبعة السابعة ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

١- الإمام الطرطوشي: وهو محمد بن الوليد الطرطوشي عالم الإسكندرية، زار الأندلس وأخذ عن علمائها، وزار العراق والشام ومصر، واستقر بالإسكندرية إلى أن توفي بها سنة ٥٢٠ هـ ومن جهوده كتاب (الرد على النصارى) (١).

٢- نصر بن يحيى بن عيسى بن سعيد المتطبب المتوفى سنة ٥٨٩هـ: قيل إنه كان نصرانيا وأسلم، له كتاب اسمه (النصيحة الإيمانية) حيث ذكر فيه أحوال النصارى وفرقهم ومذاهبهم ومعتقداتهم وأناجيلهم(٢).

ويقول نصر بن يحي المتطبب عن نفسه: (وحيث أنقذني الله من الشريعة التي نسخت، والملة التي طمست، وشرفني الله بدين الإسلام، أحببت أن أذكر نبذا من أحوال النصارى) (٣).

٣- الإمام ابن الجوزي: ومن أشهر كتبه في ذلك (تلبيس إبليس) و(مكائد الشيطان) حيث نقد بعض معتقداتهم، وكشف ضلالاتهم، وحذر منها، وأسلم على يديه مائتين من أهل الكتاب(٤).

---

(١) انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ٤٩٠/١٩.

(٢) انظر النصيحة الإيمانية، لنصر بن يحيى المتطبب تحقيق د/ محمد الشرقاوي صـ١٧. ط/ دار الصحوة، القاهرة ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م. وانظر سير أعلام النبلاء للذهبي ٥٠١/٢١.

(٣) النصيحة الإيمانية صـ٥١.

(٤) انظر سير أعلام النبلاء، للذهبي ٣٦٥/١٢.

٤- الإمام الرازي: حيث كانت له جهود كبيرة في دعوة النصارى ومناظراتهم، وكان قوي الحجة ساطع البرهان، حيث كان يعرض لعقائد النصارى ويقوم بالرد عليها وكانت له مناظرات كثيرة مع أحد قساوسة أصبهان، وقد تعرض لعقائد النصارى في تفسيره للآيات التي تتحدث عنهم في القرآن الكريم.

٥- الشيخ عبد القادر بن عبد الله الفهري الهروي الحراني: كان من أبرز كتبه: (الرد على النصارى) وقد ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون.

٦- الشيخ صالح بن الحسين تقي الدين أبو البقاء الهاشمي الجعفري توفي سنة ٦٦٨هـ بالقاهرة. كان كثير المناظرات مع النصارى، له كتاب بعنوان: (الرد على النصارى) وله كتاب: (تخجيل من حرف التوراة والإنجيل) وله كتاب: (الواضح المشهود في الرد على النصارى واليهود) (١).

٧- الإمام القرافي: تلميذ العز بن عبدالسلام، من علماء المالكية، برع في الفقه والأصول، والعلوم العقلية والتفسير. توفي سنة ٦٨٤هـ بالقاهرة كانت له مناظرات كثيرة مع النصارى، حيث قام بالذب عن الدين، وقام بالرد على شبههم في الباب الثاني من كتابه الشهير: (الأجوبة الفاخرة في الرد على الأسئلة الفاجرة)

---

(١) انظر كتاب الرد على النصارى للجعفري صـ٥٦. تحقيق د/ محمد حسانين، دار الصحوة، القاهرة ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م. وانظر تخجيل من حرف التوراة والإنجيل للجعفري ١٠٣/١. تحقيق د/ محمود قدح، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

وله كتاب (الأقوال القديمة في حكم النقل من الكتب القديمة). وله كتاب: (أدله الوحدانية في الرد على النصرانية) [١].

أهدى للملك الكامل كتابه أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية، حيث كان الصراع مع الصليبيين على أشده، وجاء فيه: (فرأيت أن أؤلف لمولانا السلطان أعزه الله في الرد عليهم، أتحفه فيه بغريبه، وأتفرد فيه بطريقة عجيبة، أجمع فيه مذاهبهم على جليتها، وأخاطبهم بنصوصهم، وأجادلهم بها مجادلة الأقران، وأبارزهم على نقضها مبارزة الشجعان) [٢].

٨- الإمام البوصيري: وهو محمد بن سعيد الصنهاجي توفي بمصر سنة 695هـ له منظومة في الرد على النصارى واليهود[٣].

٩- الإمام القرطبي: له كتاب (تثليث الوحدانية) وله كتاب: (الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإثبات نبوة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام). وعن سبب تأليفه للكتاب يقول: (خشية من تلبيس قساوستهم الذين يكتبون حول بعض التشريعات الإسلامية، وهم لا يحسنون ذلك، فيقرؤها إخوانهم في الديانة، فيفهمون الإسلام على غير وجهه الصحيح) [٤].

---

(١) أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية، أحمد بن إدريس القرافي، تحقيق/ عبدالرحمن دمشقية، الطبعة الأولى ١٤٠٨/١٩٨٨م.

(٢) أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية للقرافي صـ٤١٤.

(٣) منظومة البوصيري في الرد على النصارى واليهود، محمد بن سعيد البوصيري، تحقيق د.أحمد حجازي السقا، مطبعة دار البيان القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

(٤) الإعلام للقرطبي الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن دين الإسلام، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق د/ أحمد حجازي السقا، صـ٤٣٨. مكتبة الحرمين، الرياض- السعودية.

١٠- أبو عبيدة الخزرجي: توفي في مدينة فاس سنة ٥٨٢ هـ من علماء الأندلس، تنقل بين الأندلس والمغرب، وكان له جهود مباشرة في التصدي للشبهات التي كانت تثار في عصره، ومن أشهر كتبه كتاب: (مقامع همات الصلبان ومراتع رياض أهل الإيمان). الذي قام بتحقيقه د/ محمد شامة تحت عنوان: (بين الإسلام والمسيحية).

وكان له كتاب مقام المدرك في إفحام المشرك ومما قام به (كان أحد القساوسة في طليطلة الإفرنج يثير الشبهة ويلقيها بين المسلمين لزعزعة ثقتهم في دينهم، ويصيبهم الحيرة في الإجابة عنها، حتى هيأ الله لهم أبا عبيدة، فكان المسلمون يأتون إليه ليجيب عن أسئلة القسيس وشبهاته، ثم يحملون الإجابة ليلقمونه حجرا، ويفندون حججه، ويبطلون إدعاءاته) [1].

فكان العلماء يؤلفون الكتب في الرد على شبهات النصارى وقساوستهم حول الإسلام، ليقيموا عليهم الحجة، ويبطلوا ما عليه النصارى من معتقدات فاسدة، وكان بعضهم يكتب دعما للحاكم في مواجهة دعوات النصارى كما سبق، أو سببا لهدايتهم. وكان البعض الآخر يكتب للحفاظ على إيمان العوام ومعتقداتهم، وقد بقيت آثارهم العلمية محفوظة حتى الآن، وهذا من نعم الله عليهم وعلى المسلمين، ببركة إخلاصهم وتوفيق الله لهم.

❁❁❁

(١) مقامع الصلبان للخزرجي صـ٥٣.

المبحث السادس

الحروب الحديثة والمعاصرة حروب صليبية.

تعد الحروب الصليبية مظهرا من مظاهر التوسع الاقتصادي والاستعماري في العصور الوسطي، فهي كانت تتطور لتخرج من طور إلى طور، إلى أن تبلورت في هذه الصورة الصدامية والتي أخذت الصورة العالمية.

يقول د سعيد عاشور: (إن التحديد الزمني للحركة الصليبية بين عامي (٤٨٨-٦٩٠هـ) هو تحديد خاطئ، لا يقوم على أساس سليم، ولا يعتمد على دراسة الحركة الصليبية دراسة شاملة، وإنما يكتفي بعلاج مبتور، يشمل من تلك الحركة ولا يعبر عن جذورها وأصولها من ناحية، ولا عن ذيولها وبقاياها من ناحية اخرى) (١).

ويؤكد ذلك د/ الصلابي فيقول: (والحرب الصليبية لم ولن تنتهي، وما يحدث في أفغانستان والعراق من احتلال دليل على ذلك، ومن أهم دوافع هذه الحروب، أبعاد دينية وسياسية وعسكرية واقتصادية يطول شرحها) (٢).

---

(١) الحركة الصليبية د.سعيد عاشور ٢٦/١.

(٢) دولة السلاجقة وبروز مشروع إسلامي لمقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي، د. محمد الصلابي صـ٤٨٨ ط/ دار المعرفة بيروت لبنان ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م.

فمصطلح الحروب الصليبية يستخدم حاليا في العصر الحاضر على الحرب التي قامت بها الولايات المتحدة الأمريكية وحلفاؤها ضد أفغانستان والعراق.

فالحروب الصليبية لم تتوقف بعد الحملة الثامنة بل هي مستمرة حتى اليوم، يقول الدكتور/ سعيد عاشور: (أما تحديد الحملات بثمان متفرقات فلا يعني سوى الدور الحاسم التقليدي النشط في تلك الحركة وهو الدور الواقع في الحملة الأولى وهو طرد الصليبين نهائيا من بلاد الشام...فالحروب الصليبية أوسع مدى من هذا التحديد سابقا ولاحقا) (١).

---

(١) الحركة الصليبية د/سعيد عاشور ٢٢/١، ٢٣.

وهذه تصريحات لبعض قادتهم تبين أن الحروب الصليبية لا تزال مستمرة وحاضرة في عقولهم حتى الآن:

١- يقول أيوجين روستو رئيس قسم التخطيط في وزارة الخارجية الأمريكية ومساعد وزير الخارجية الأمريكية، ومستشار الرئيس جونسون لشؤون الشرق الأوسط حتى عام ١٩٦٧م يقول: "يجب أن ندرك أن الخلافات القائمة بيننا وبين الشعوب العربية ليست خلافات بين دول أو شعوب، بل هي خلافات بين الحضارة الإسلامية والحضارة المسيحية". لقد كان الصراع محتدما ما بين المسيحية والإسلام منذ القرون الوسطى، وهو مستمر حتى هذه اللحظة، بصور مختلفة. ومنذ قرن ونصف خضع الإسلام لسيطرة الغرب، وخضع التراث الإسلامي للتراث المسيحي. إن الظروف التاريخية تؤكد أن أمريكا إنما هي جزء مكمل للعالم الغربي، فلسفته، وعقيدته، ونظامه، وذلك يجعلها تقف معادية للعالم الشرقي الإسلامي، بفلسفته وعقيدته المتمثلة بالدين الإسلامي، ولا تستطيع أمريكا إلا أن تقف هذا الموقف في الصف المعادي للإسلام وإلى جانب العالم الغربي والدولة الصهيونية، لأنها إن فعلت عكس ذلك فإنها تتنكر للغتها وفلسفتها وثقافتها ومؤسساتها. إن روستو يحدد أن هدف الاستعمار في الشرق الأوسط هو تدمير الحضارة الإسلامية، وأن قيام إسرائيل، هو جزء من هذا المخطط، وأن ذلك ليس إلا استمرارا للحروب الصليبية. معركة المصير – صفحات ٨٧-٩٤.

(حاولوا تدمير الإسلام في الحروب الصليبية الرهيبة، ففشلت جيوشهم التي هاجمت بلاد الإسلام بالملايين، فعادوا يخططون من جديد لينهضوا.. ثم ليعودوا إلينا، بجيوش حديثة، وفكر جديد.. وهدفهم تدمير الإسلام من جديد) (١).

٢- يقول باترسون سمث في كتابه "حياة المسيح الشعبية" باءت الحروب الصليبية بالفشل، لكن حادثا خطيرا وقع بعد ذلك، حينما بعثت انكلترا بحملتها الصليبية الثامنة، ففازت هذه المرة، إن حملة اللنبي على القدس أثناء الحرب العالمية الأولى هي الحملة الصليبية الثامنة، والأخيرة. (مجلة الطليعة القاهرية، مقال وليم سليمان، عدد ديسمبر عام ١٩٦٦ - صـ٨٤. لذلك نشرت الصحف البريطانية صور اللنبي وكتبت تحتها عبارته المشهورة التي قالها عندما فتح القدس: اليوم انتهت الحروب الصليبية.

ونشرت هذه الصحف خبرا آخر يبين أن هذا الموقف ليس موقف اللنبي وحده بل موقف السياسة الإنكليزية كلها، قالت الصحف: هنأ لويد جورج وزير الخارجية البريطاني الجنرال اللنبى في البرلمان البريطاني، لإحرازه النصر في آخر حملة من الحروب الصليبية، التي سماها لويد جورج الحرب الصليبية الثامنة.

٣- الجنرال غورو عندما تغلب على جيش ميسلون خارج دمشق توجه فورا إلى قبر صلاح الدين الأيوبي عند الجامع الأموي، وركله بقدمه وقال له: "ها قد عدنا يا صلاح الدين". القومية والغزو الفكري- صـ٨٤.

ويؤكد صليبية الفرنسيين ما قاله مسيو بيدو وزير خارجية فرنسا عندما زاره بعض البرلمانيين الفرنسيين وطلبوا منه وضع حد للمعركة الدائرة في مراكش أجابهم: "إنها معركة بين الهلال والصليب".(مأساة مراكش - روم رولاند - ص ٣١٠) انظر فيما سبق قادة الغرب يقولون دمروا الإسلام أبيدوا أهله، جلال العالم صـ٢٣-٢٦.

والسؤال: هل استفاد المسلمون من الحروب الصليبية الحديثة، خاصة بعدما تأكد لهم أن الأعداء أصبح خطرهم أشد، بقوتهم العسكرية، وكثرتهم العددية، وتحالفهم في حروبهم، واتجاههم إلى الحرب الفكرية قبل الحروب العسكرية، وسماعهم هذه التصريحات لقادتهم وزعمائهم؟.

(١) قادة الغرب يقولون دمروا الإسلام أبيدوا أهله، جلال العالم صـ٩.

ومن الجدير بالذكر أن الحروب الاستعمارية في العصر الحديث كانت حملات صليبية جديدة، لكنهم لم يصرحوا بذلك إلا في نهايتها، حتى لا تتحرك العاطفة الدينية عند المسلمين فينتفضوا للدفاع عن الدين، وإنما حاربوا تحت مسمى الوطنية والقومية، وهذا لا يهم اليهود والنصارى في شيء بل إنهم يسعون إلى تحقيق ذلك.

يقول د/ قاسم عبده قاسم: (ولأن الحركة الصليبية التي استمرت أحداثها فوق الأرض العربية قرابة قرنين من الزمان، كانت ولا تزال من المنعطفات التاريخية في تاريخ الغرب الأوربى والعالم العربي الإسلامي على السواء، فإنها لا تزال تحكم توجهات رجال السياسة والمفكرين في العالم الأوربي الأمريكي في تعاملهم مع العرب والمسلمين حتى اليوم) (١).

ثم يقول: (ثم انتهى هذا التوقف الحضاري إلى نهايته المحتومة، التي أدت إلى حال الاستعمار والتبعية التي لا تزال نعانيها حتى اليوم، إذ أن أحدا لا يمكن أن يتجاهل علاقة ما جرى منذ عدة قرون بما يحكم اليوم علاقتنا بالغرب الأوربي والأمريكي، كما أن أحدا لا يستطيع أن يغفل النظر عن حقيقة أن الحملات الصليبية ضد الشرق العربي كانت أول المشروعات الاستعمارية الأوربية من ناحية، وأنها كانت السابقة أو التجربة التي سبقت مرحلة الاستعمار الحديث من

(١) ماهية الحروب الصليبية د/ قاسم عبده قاسم صـ٢٠٢.

ناحية ثانية، فضلا على أنها كانت إلهاما للتجربة الصهيونية ذات الأهداف الاستيطانية من جهة ثالثة) [١].

فالمبشرون وراء هذه الحرب الصليبية الجديدة، هم الذين يقفون وراءها، ويساهمون في صنع أحداثها يقول القس ميز: (إن الحرب الصليبية الهادئة التي بدأها مبشرونا في القرن السابع عشر لا تزال مستمرة إلى أيامنا هذه. ويقول اليسوعيون: ألم نكن نحن ورثة الصليبين... أولم نرجع تحت راية الصليب لنستأنف التسرب التبشيري والتحدي المسيحي... وهكذا تستطيع الكنيسة المسيحية بلا حرب أن تسترد تلك المناطق التي خسرتها منذ أزمان طوال) [٢].

ومما سبق يتبين أن الحروب الصليبية القديمة توقفت فترة طويلة من الزمن، ثم استؤنفت من جديد، حيث مازالت تلك النزعة الصليبية حاضرة في أذهان كثير من القادة ورجال الدين الغربيين بدرجة كبيرة، ساهمت في صناعة الأحداث التي نشاهدها في الحروب الحديثة والمعاصرة.

من نتائج وآثار الحروب الصليبية على الفريقين:

١- وسعت الحروب الصليبية الفجوة والعداوة بين القوتين المتصارعتين في الشرق والغرب، فترة طويلة من الزمن، ولا يزال الطرفان يعانون من آثارها حتى

---

(١) ماهية الحروب الصليبية د/ قاسم عبده قاسم صـ٩.

(٢) انظر حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر، أحمد عبد الوهاب، صـ١٥٤، والتبشير والاستعمار في البلاد العربية، عمر فروخ صـ١٢٧.

الآن، فالمسلمون والنصارى معا اصطلوا بنار تلك الحروب، حيث سفكت دماء كثيرة، وتناثرت الأشلاء والجماجم من الفريقين.

من نتائج وآثار الحروب الصليبية على الشرق:

١- قام الصليبيون في أثناء الحروب الصليبية بعملية الإبادة الجماعية للمسلمين، رجالا ونساء وأطفالا، فكانوا كلما حققوا انتصارا يقتلون الآلاف من العزل والأبرياء، الذين لا يحملون السلاح، من كبار السن والأطفال، حتى إنهم حين دخلوا مدينة القدس قتلوا سبعين ألفا من المسلمين في يوم واحد، وهذا يدل على أن روح العداوة والانتقام كانت متأججة في نفوسهم إلى أقصى درجة ممكنة.

٢- بعثت هذه الحروب الصليبية الفزع والرعب في القلوب، والتخريب والتدمير في البلاد، وجلبت القحط والجدب في كل مكان حلت فيه، كما أنها أراقت دماء الأبرياء دون حساب، وبدون أدنى سبب، وأورثت التنافر والبغضاء بين الأجناس البشرية فترة طويلة من الزمن. كما أنتجت الحروب الصليبية موجات من البغض والكراهية، والعنف والعدوان والقسوة والخراب.

٣- ظهرت قوتان كبيرتان بعد نهاية الحروب الصليبية، قوة المماليك، ثم أعقبتها قوة الدولة العثمانية، حيث قامت كل منهما بدور كبير في تحرير المدن التي كانت تحت قبضة الصليبين، بل اتسعت حدود الدولة الإسلامية في ظل الخلافة العثمانية.

٤- أسفرت الحروب الصليبية عن ظهور شخصيات قيادية تاريخية ناجحة، الذين قادوا الأمة نحو النصر في أحلك المواقف، وأصعب الأيام، مثل عماد الدين زنكي، ونور الدين محمود، وصلاح الدين الأيوبي، فدائما الشدائد تصنع الرجال، وكانوا قيادات إسلامية لجيل جديد تربى على الإسلام في أثناء فترة الاحتلال والانقسام.

٥- أنها كانت محركا للمسلمين نحو العودة إلى تعاليم الإسلام، والتربية الإسلامية الصحيحة، فأيقظت المسلمين من رقدتهم، وأفاقتهم من غفلتهم، ووحدتهم بعد تفرقهم، وقضت على عوامل الضعف والوهن الطارئة والعارضة.

٦- أن العالم الإسلامي قدم تضحيات كثيرة، في هذه الحروب المتكررة، حيث قدم الآلاف من الشهداء، وبعثت روح المقاومة والجهاد، وحب الشهادة في سبيل الله، وجمعت المسلمين جميعا تحت هدف واحد، هو إخراج الصليبيين من البلاد التي وقعت تحت الاحتلال، فكانت تحديا كبيرا للمسلمين، حيث استطاعوا أن يتغلبوا على كل العقبات التي وقفت في طريقهم نحو النصر والتحرير. فالحملات الصليبية لم تفلح عسكريا ولا عقائديا، لأنهم خرجوا من بلاد المسلمين وازداد المسلمون تمسكا بدينهم. ولم تنته الحروب الصليبية بخروج الصليبيين من بلاد الشام، إنما استمرت على نحو متقطع حتى توقفت مؤقتا بسقوط القسطنطينية على يد القائد المسلم محمد الفاتح.

٧- استنفرت هذه الحروب عقول العلماء وأقلامهم في معرفة الشبهات التي يثيرها المنصرون حول الإسلام، وإعداد الردود القوية عليها، ونشر ذلك في الكتب والرسائل وتوزيعها على الجميع، فقد ظهرت كوكبة من ألمع العلماء، قاموا بواجب الدفاع عن الدين لسد الثغرة في هذا الميدان.

٨- كشفت هذه الحروب عن كثب خطورة الأسباب التي تؤدى إلى سقوط الأمة، ووقوعها تحت قبضة المحتل الأجنبي الغشوم، مثل غياب الإسلام عن مناحي الحياة، ومعيشة الملوك والأمراء في حياة الإسراف والبذخ والترف، والانغماس في الشهوات، وكثرة الخلافات الداخلية، والتنازع على السلطة، وانتشار الفوضى، وكثرة المظالم، مما تؤدى في النهاية إلى سقوط الأمم والدول أمام الخصوم والأعداء، وأخرت هذه العوامل مع الحروب التقدم في مناحي الحياة فترة طويلة من الزمن. قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾[1].

من نتائج وآثار الحروب الصليبية على الغرب:

١- من تأثير الحروب الصليبية على أوربا، أنها صنعت نوعا من التحالفات السياسية بين دول أوربا بطوائفها المختلفة، في عمل مشترك واحد، تحت هدف وغاية واحدة، هو السيطرة على الأراضي المقدسة، وإبقاؤها تحت نفوذهم، وكذلك في توحيد أوربا أيضا تحت راية البابوية.

---

(١) سورة الأنفال الآية (٤٠).

٢- ومن آثار الحروب الصليبية على الغرب أنها دفعتهم إلى القيام بترجمة القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية بقصد دراسته ومعرفة محتوياته، وإثارة الشبهات حوله، كوسيلة من وسائل الغزو الفكري الجديدة.

٣- متابعة الغرب لما يتعلق بالإسلام والمسلمين عن قرب، وبصفة مستمرة، وتحذيرهم الدائم من خطره القادم، وهذا دفع النشاط التنصيري إلى أن ينطلق بقوة، وأن يأخذ صورة منظمة ترعاه الدول والحكومات.

٤- ساهمت الحملات الصليبية في تأثر الأوربيين بالحضارة العربية الإسلامية، حيث قاموا بترجمة الكتب العربية إلى لغتهم، بل إن بعضهم تعلم اللغة العربية بقصد النقاش والمحاورة، والانفتاح على الثقافة العربية، ووقع شيء من التبادل الثقافي والتجاري خاصة في الممالك التي كانت في حالة مسالمة مع المسلمين.

❁❁❁

المبحث السابع

كيف نتصدى للغزو الفكري، وحملات التنصير.

هناك تشابه كبير بين وضع المسلمين قديما إبان الحروب الصليبية، وواقع المسلمين الآن، وهذا يدفعنا إلى معرفة أهم الطرق والأساليب، التي تصدى بها المسلمون لإخراج الصليبيين من البلاد، حتى صدوهم عن غزوهم العسكري وأوقفوهم عنه، بالإضافة إلى أن خططهم في الغزو الفكري الجديد قد اتضحت لنا عبر هذه القرون الماضية. فكيف نتصدى لحملات الغزو الفكري بأشكاله وصوره المتطورة حتى نحمي البلاد والعباد من مخاطرهم وأضرارهم؟.

ومن أهم هذه الطرق والأساليب ما يأتي:-

١- العمل الجاد على تقوية العقيدة الإسلامية في نفوس المسلمين:

فالإيمان القوي والعقيدة الراسخة تصنع أناسا أقوياء، كما أن غرس عقيدة التوحيد في نفوس النشء منذ نعومة الأظفار، وتربيتهم على حب الله ورسوله، والجهاد في سبيله، والاعتصام بالكتاب والسنة، والولاء والبراء، فيأتي النشيء المسلم قوي الإيمان، صلب العقيدة، راسخ اليقين، لا تهزه أية هزة فكرية، ولا يهين أمام شبهات المستشرقين، ولا يضعف أمام مغريات الحياة التي يساومونه بها على دينه.

فالتربية الإسلامية التي كانت في القرنين الخامس والسادس الهجريين، أثمرت كبار المجاهدين، أمثال نور الدين محمود، ونور الدين زنكي، وصلاح الدين الأيوبي، فهو جيل الجهاد والتضحية، وتحرير المقدسات، وطرد الصليبيين، والحفاظ على المجتمع المسلم من مكر الأعداء، وشبهات المنصرين.

قال المبشر بيلس: (إن الدين الإسلامي هو العقبة القائمة في طريق تقدم التبشير بالنصرانية في أفريقيا، والمسلم فقط هو العدو اللدود لنا، إن انتشار الإنجيل لا يجد معارضا، لا من جهل السكان، ولا من وثنيتهم، وخصمنا الوحيد هو الشيخ أو الدرويش صاحب النفوذ في إفريقيا) (١).

---

(١) الغارة على العالم الإسلامي صـ١٥.

١- يقول لورنس براون: "إن الإسلام هو الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوربى،"التبشير والاستعمار صـ١٠٤.

٢- يقول أحد المبشرين: إن القوة الكامنة في الإسلام هي التي وقفت سدا منيعا في وجه انتشار المسيحية، وهي التي أخضعت البلاد التي كانت خاضعة للنصرانية، جذور البلاء صـ٢٠١.

٣- ويقول المستشرق غاردنر: إن القوة التي تكمن في الإسلام هي التي تخيف أوربا. التبشير والاستعمار صـ٣٦.

٤- وصرح سالازار في مؤتمر صحفي قائلا: إن الخطر الحقيقي على حضارتنا هو الذي يمكن أن يُحدثه المسلمون حين يغيرون نظام العالم. فلما سأله أحد الصحفيين: لكن المسلمين مشغولون بخلافاتهم ونزاعاتهم، أجابه: أخشى أن يخرج منهم من يوجه خلافهم إلينا. جند الله صـ٢٢.

٥- ويقول مسؤول في وزارة الخارجية الفرنسية عام ١٩٥٢: ليست الشيوعية خطرا على أوربا فيما يبدو لي، إن الخطر الحقيقي الذي يهددنا تهديدا مباشرا وعنيفا هو الخطر الإسلامي، فالمسلمون عالم مستقل كل الاستقلال عن عالمنا الغربي، فهم يملكون تراثهم الروحي الخاص بهم. ويتمتعون بحضارة تاريخية ذات أصالة، فهم جديرون أن يقيموا قواعد عالم جديد، دون حاجة إلى إذابة شخصيتهم الحضارية والروحية في الحضارة الغربية، فإذا تهيأت لهم أسباب

الإنتاج الصناعي في نطاقه الواسع، انطلقوا في العالم يحملون تراثهم الحضاري الثمين، وانتشروا في الأرض يزيلون منها قواعد الحضارة الغربية، ويقذفون برسالتنا إلى متاحف التاريخ. وقد حاولنا نحن الفرنسيين خلال حكمنا الطويل للجزائر أن نتغلب على شخصية الشعب المسلمة، فكان الإخفاق الكامل نتيجة مجهوداتنا الكبيرة الضخمة. إن العالم الإسلامي عملاق مقيد، عملاق لم يكتشف نفسه حتى الآن اكتشافا تاما، فهو حائر، وهو قلق، وهو كاره لانحطاطه وتخلفه، وراغب رغبةً يخالطها الكسل والفوضى في مستقبل أحسن، وحرية أوفر ... فلنعط هذا العالم الإسلامي ما يشاء، ولنقو في نفسه الرغبة في عدم الإنتاج الصناعي، والفني، حتى لا ينهض، فإذا عجزنا عن تحقيق هذا الهدف، بإبقاء المسلم متخلفا، وتحرر العملاق من قيود جهله وعقدة الشعور بعجزه، فقد بؤنا بإخفاق خطير، وأصبح خطر العالم العربي، وما وراءه من الطاقات الإسلامية الضخمة خطرا داهما ينتهي به الغرب، وتنتهي معه وظيفته الحضارية كقائد للعالم. مجلة روز اليوسف في عددها الصادر بتاريخ ١٩٦٣/٦/٢٩.

٦- ويقول مورو بيرجر في كتابه "العالم العربي المعاصر": إن الخوف من العرب، واهتمامنا بالأمة العربية، ليس ناتجا عن وجود البترول بغزارة عند العرب، بل بسبب الإسلام. يجب محاربة الإسلام، للحيلولة دون وحدة العرب، التي تؤدي إلى قوة العرب، لأن قوة العرب تتصاحب دائما مع قوة الإسلام وعزته وانتشاره. إن الإسلام يفزعنا عندما نراه ينتشر بيسر في القارة الأفريقية. الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار الغربي صـ١٩.

٧- ويقول هانوتو وزير خارجية فرنسا: رغم انتصارنا على أمة الإسلام وقهرها، فإن الخطر لا يزال موجودا من انتفاض المقهورين الذين أتعبتهم النكبات التي أنزلناها بهم لأن همتهم لم تخمد بعد... الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار الغربي صـ١٩.

٨- يقول غاردنر: إن الحروب الصليبية لم تكن لإنقاذ القدس، إنها كانت لتدمير الإسلام. التبشير والاستعمار صـ١١٥ – جذور البلاء صـ٢٠١.

٩- يقول مرماديوك باكتول: إن المسلمين يمكنهم أن ينشروا حضارتهم في العالم الآن بنفس السرعة التي نشروها بها سابقا. بشرط أن يرجعوا إلى الأخلاق التي كانوا عليها حين قاموا بدورهم الأول، لأن هذا العالم الخاوي لا يستطيع الصمود أمام روح حضارتهم. جند الله صـ٢٢.

١٠- وقال لورانس بروان: (لقد كنا نخوف بشعوب مختلفة ولكننا بعد الاختبار لم نجد مبررا لمثل هذا الخوف، لقد كنا نخاف من الخطر اليهودى والخطر الأصفر (باليابان وتزعمها على الصين) وبالخطر البلشفى، إلا أن هذا التخوف كله لم نجد له واقعا كما تخيلنا هـ، إننا وجدنا اليهود أصدقاء لنا، وعلى هذا

فقوة العقيدة عند المسلم تجعل من المستحيل وصول المنصرين إلى أهدافهم، يقول المفكر الألماني باول اشميتس في كتابه الإسلام قوة الغد: (حينما حل الإسلام ضاعت جهود المبشرين المسيحيين، وفقدوا الأمل في تحويل روح وثنية إلى المسيحية) (١).

فالإسلام هو العقبة الكؤود التي اصطدمت بها النصرانية وهو السد المنيع الذي وقف في وجه انتشارها، وقد اعترف صموائيل زويمر بذلك فيقول: (لم يسبق وجود عقيدة مبنية على التوحيد أعظم من الدين الإسلامي الذي اقتحم قارة أفريقيا وأسيا الواسعتين، وبث في مائتي مليون من البشر عقائده وشرائعه وتقاليده وأحكامه عروة ارتباطهم باللغة العربية، إن الكنيسة المسيحية ارتكبت أخطاء بتركها المسلمين وشأنهم إذ ظهر لها أن أهمية الإسلام تأتي بالدرجة الثانية بالنسبة إلى ثمانمائة مليون وثني رأت أن تنشغل بهم، رأت هذا ولم تعرف عظمة الإسلام وحقيقة قوته، وسرعة نموه، إلا منذ ثلاثين سنة فقط) (٢).

وعن حالة الإسلام في إفريقيا أمام حملات التنصير، جاء في تقرير اللجنة المنبثقة من مؤتمر أدنبرج: (إن الموقف صار فيه حرجا لسرعة تقدم الإسلام من

يكون كل مضطهد لهم عدونا الألد، ثم رأينا أن البلاشفة حلفاء لنا، أما الشعوب الصفر فإن هناك دول ديمقراطية كبيرة تتكفل بمقاومتها...ولكن الخطر الحقيقي كامن في نظام الإسلام، وفى قدرته على التوسع والإخضاع، وفى حيويته، إنه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأروبي) التبشير والاستعمار صـ١٣١. انظر فيما سبق قادة الغرب يقولون صـ٣٤-٣٨.

(١) الإسلام قوة الغد باول أشميتس صـ٣٥١. ترجمة د/ محمد شامة ط/ مكتبة وهبة ١٩٩٥.

(٢) الغارة على العالم الإسلامي آل شاتليه ترجمة محب الدين الخطيب ومساعد اليافي صـ٢٩.

مركـزه الواسـع في الشـمال، ومواقعـه التـي في السـواحل إلى الجنـوب والغـرب الإفريقي، والمبشرون كانوا قد أخطأوا في تقديراتهم السابقة لأنـه تبـين لهـم في مـا بعد أن بعض البلاد التي كـانوا يحسـبونها خاليـة مـن الأديـان المعروفـة هـي إمـا إسلامية وإما إنها على أهبة الدخول في الإسلام) [1].

٢- العمل على إقامة الوحدة الإسلامية بين المسلمين:

فالنبي ﷺ أقام مجتمعا موحدا من المهـاجرين والأنصـار، والأوس والخـزرج، ضم عددا كبيرا من الصحابة من مختلف الجنسيات، وصـنع مـنهم مجتمعـا قويـا، واجه بهم رياحا عاتية، وغير بهم مجرى التاريخ، وقد عمل الخلفاء الراشدون عـلى وحدة المسلمين، وكذلك عمل مـن بعـدهم خلفـاء الدولـة الأمويـة والعباسـية، فحينما سـقطت الخلافـة الأمويـة تسـلمت الخلافـة العباسـية الدولـة الإسـلامية موحدة، رغم كبر حجمها، واتساع أطرافها.

وكانت الجيوش الإسلامية قديما حفيلة بخليط مـن الأجنـاس المسـلمة، التـي يجمعها الإسلام تحت راية الجهاد في سبيل الله، فكان الجيش الإسلامي يحتوي على جمع من الترك والعرب والأكراد، صهرهم الإسلام في بوتقة واحدة، فلا فرق بـين عربي وأعجمي، كما أنه لم تكن هناك حدود بين دولة مسـلمة وأخـرى جـارة لهـا، لأن الكل يحمل هم الإسلام والمسلمين.

---

(١) الغارة على العالم الاسلامي صـ٤٧.

يقول الدكتور قاسم عبده قاسم: (إن العمل المشترك والتنسيق، والحد الأدنى من الوحدة، كانت شروطا للنجاح والنصر، على حين كان التشرذم والتنازع والتخاصم، سببا رئيسا من أسباب الهزيمة) (١).

ومنذ سقوط الخلافة الإسلامية العثمانية وحتى الآن، والعالم الإسلامي مطمع للغرب للاستيلاء على خيراته، ونهب ثرواته، وما ضاعت فلسطين والعراق وأفغانستان إلا بسبب غياب الوحدة الإسلامية، وتفرق المسلمين.

لقد زرع الغرب إسرائيل في فلسطين، كذلك أقاموا مملكة بيت المقدس الصليبية في فلسطين في القرن السادس الهجري، والسبب الرئيس في هذا هو تفكك المسلمين وتفرقهم، وغياب الوحدة الإسلامية الجامعة، التي تضم كل الدول الإسلامية تحت راية واحدة، لتكون حائط صد أمام الأعداء والخصوم.

٣- تقوية الجانب الثقافي والفكري عند المسلمين:

وهذا يتطلب فتح آفاق الثقافة الإسلامية على مصراعيها أمام الناشئة والشباب، فلا بد لكل مسلم أن يكون لديه الحد الأدنى من الثقافة الإسلامية المتعلقة بفهم القرآن والسنة النبوية، ومعرفة الحلال والحرام، والقدر الذي يسمح له بأداء العبادة على وجهها الصحيح، ومعرفة المعاملات الإسلامية في التجارة والبيوع، ومعرفة السيرة النبوية، ودراسة سيرة الصحابة والسلف الصالح،

(١) ماهية الحروب الصليبية د/ قاسم عبده قاسم صـ٦.

والتاريخ الإسلامي، وكذا معرفة الشبهات التي يصنعها المنصرون، وكيفية الرد عليها، ومعرفة خطط الأعداء ومكرهم، ومعرفة كيفية التصدي لها.

يقول حذيفة بن اليمان ﷺ: "كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر، مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم. قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم، وفيه دخن. قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر. قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم، دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها. قلت: يا رسول الله صفهم لنا، قال: هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا. قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم. قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة، حتى يدركك الموت وأنت على ذلك"(١).

وكذلك العمل على إحياء دور المسجد في نشر آفاق التربية الخلقية المتينة لدى طبقات المجتمع كلها، رجالا ونساء، صغارا وكبارا، فالأخلاق هي الحصن المتين الذي يقوي جهاز المناعة، وتتلاشى أمامه مخططات التنصير، خاصة حينما يدرس الشباب أخلاق القادة المسلمين في فتوحاتهم عبر التاريخ الإسلامي الطويل، فهو مليئ بنماذج القدوة الصالحة التي يحتاج إليها الشباب في حياتنا المعاصرة.

---

(١) الحديث أخرجه الامام البخارى (٧٠٨٤) عن حذيفة بن اليمان ﷺ.

كما أن العلماء لهم الدور الأكبر في الإصلاح والتغيير، من خلال التربية، والمواعظ، والتوعية، وحض الناس على الإيجابية، والتمسك بالدين، وكونهم القدوة الصالحة للمجتمع كله، في الشدة والرخاء، والحرب والسلم.

❁❁❁

الخاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ وبعد..

فقد تبين مما سبق أن فكرة الحروب الصليبية قديمة، فهي كانت نتيجة لإرهاصات سابقة على مباشرة الحروب، كما أنها واحدة من سلسلة الصراعات العسكرية الدامية بين الشرق المسلم والغرب الصليبي، راح ضحيتها آلاف من الأبرياء والعزل، الذين لا يحملون السلاح، كما ساهمت بصورة كبيرة في نشر الخراب والتدمير في بلاد المسلمين، فصنعت خندقا كبيرا، وحاجزا عاليا، وحساسية مفرطة من العداء بين الشرق والغرب، استمرت آثارها حتى اليوم، وارتبطت هذه الحروب بالقسوة والوحشية والتعصب، وهي تدل على كمية الحقد التي تكمن في صدور الغربيين الناقمين على الإسلام وأهله، بل إنهم يعتبرونها مصدر فخر ومجد يتغنون بها حتى الأن.

وتعد فترة الحروب الصليبية على قدر كبير من الأهمية في تاريخ الأمة المسلمة، خاصة أن النصارى نجحوا في السيطرة على بيت المقدس، وأقاموا بعض الممالك النصرانية في بلاد المسلمين، ما يقرب من قرن من الزمن، بالإضافة إلى ما كانت تعانيه الأمة من ضعف، بسبب انتشار الفرق الضالة المنحرفة من الشيعة والباطنية التي تعاونت مع الصليبيين في تحقيق أطماعهم.

الحروب الصليبية انطلقت على خلاف تعاليم الكتاب المقدس، فرغم أن كلمة الصليب عند النصارى تعد رمزا للفداء، وشعارا للتضحية، وأن رسالة المسيح عليه السلام هي رسالة السلام، فالإنجيل يقول: (طُوبَى لِلْمَسَاكِينِ بِالرُّوحِ، لأَنَّ لَهُمْ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ. طُوبَى لِلْحَزَانَى، لأَنَّهُمْ يَتَعَزَّوْنَ. طُوبَى لِلْوُدَعَاءِ، لأَنَّهُمْ يَرِثُونَ الأَرْضَ. طُوبَى لِلْجِيَاعِ وَالْعِطَاشِ إِلَى الْبِرِّ، لأَنَّهُمْ يُشْبَعُونَ. طُوبَى لِلرُّحَمَاءِ، لأَنَّهُمْ يُرْحَمُونَ. طُوبَى لِلأَنْقِيَاءِ الْقَلْبِ، لأَنَّهُمْ يُعَايِنُونَ اللهَ. طُوبَى لِصَانِعِي السَّلاَمِ، لأَنَّهُمْ أَبْنَاءَ اللهِ يُدْعَوْنَ. طُوبَى لِلْمَطْرُودِينَ مِنْ أَجْلِ الْبِرِّ، لأَنَّ لَهُمْ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ. طُوبَى لَكُمْ إِذَا عَيَّرُوكُمْ وَطَرَدُوكُمْ وَقَالُوا عَلَيْكُمْ كُلَّ كَلِمَةٍ شِرِّيرَةٍ، مِنْ أَجْلِي، كَاذِبِينَ. اِفْرَحُوا وَتَهَلَّلُوا، لأَنَّ أَجْرَكُمْ عَظِيمٌ فِي السَّمَاوَاتِ، فَإِنَّهُمْ هكَذَا طَرَدُوا الأَنْبِيَاءَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ.

أَنْتُمْ مِلْحُ الأَرْضِ، وَلكِنْ إِنْ فَسَدَ الْمِلْحُ فَبِمَاذَا يُمَلَّحُ؟ لاَ يَصْلُحُ بَعْدُ لِشَيْءٍ، إِلاَّ لأَنْ يُطْرَحَ خَارِجًا وَيُدَاسَ مِنَ النَّاسِ. أَنْتُمْ نُورُ الْعَالَمِ. لاَ يُمْكِنُ أَنْ تُخْفَى مَدِينَةٌ مَوْضُوعَةٌ عَلَى جَبَلٍ، وَلاَ يُوقِدُونَ سِرَاجًا وَيَضَعُونَهُ تَحْتَ الْمِكْيَالِ، بَلْ عَلَى الْمَنَارَةِ فَيُضِيءُ لِجَمِيعِ الَّذِينَ فِي الْبَيْتِ. فَلْيُضِئْ نُورُكُمْ هكَذَا قُدَّامَ النَّاسِ، لِكَيْ يَرَوْا أَعْمَالَكُمُ الْحَسَنَةَ، وَيُمَجِّدُوا أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ) (١).

(١) إنجيل متى ٥(٣-١٦).

ومع ذلك فالذين شنوا الحروب الصليبية لم يكونوا من هذه الأصناف السابقة، فليسوا من صانعي السلام، وليسوا من الرحماء، وليسوا من المساكين، فمن أي صنف إذا؟.

ومن تعاليم المسيحية التي نسبت إلى المسيح عليه السلام في إنجيل متى: (سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: عَيْنٌ بِعَيْنٍ وَسِنٌّ بِسِنٍّ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: لاَ تُقَاوِمُوا الشَّرَّ، بَلْ مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الأَيْمَنِ فَحَوِّلْ لَهُ الآخَرَ أَيْضًا. وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَاصِمَكَ وَيَأْخُذَ ثَوْبَكَ فَاتْرُكْ لَهُ الرِّدَاءَ أَيْضًا. وَمَنْ سَخَّرَكَ مِيلا وَاحِدًا فَاذْهَبْ مَعَهُ اثْنَيْنِ. مَنْ سَأَلَكَ فَأَعْطِهِ، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَقْتَرِضَ مِنْكَ فَلاَ تَرُدَّهُ.

سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: تُحِبُّ قَرِيبَكَ وَتُبْغِضُ عَدُوَّكَ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ، وَصَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ، لِكَيْ تَكُونُوا أَبْنَاءَ أَبِيكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ، فَإِنَّهُ يُشْرِقُ شَمْسَهُ عَلَى الأَشْرَارِ وَالصَّالِحِينَ، وَيُمْطِرُ عَلَى الأَبْرَارِ وَالظَّالِمِينَ. لأَنَّهُ إِنْ أَحْبَبْتُمُ الَّذِينَ يُحِبُّونَكُمْ، فَأَيُّ أَجْرٍ لَكُمْ؟ أَلَيْسَ الْعَشَّارُونَ أَيْضًا يَفْعَلُونَ ذلِكَ؟ وَإِنْ سَلَّمْتُمْ عَلَى إِخْوَتِكُمْ فَقَطْ، فَأَيَّ فَضْل تَصْنَعُونَ؟ أَلَيْسَ الْعَشَّارُونَ أَيْضًا يَفْعَلُونَ هكَذَا؟ فَكُونُوا أَنْتُمْ كَامِلِينَ كَمَا أَنَّ أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ هُوَ كَامِلٌ)[1]. فأين الحروب الصليبية من هذه التعاليم السابقة التي لم نرها في نصارى الشرق أو الغرب.

(١) إنجيل متى ٥ (٣٨-٤٨).

لقد كان ظاهريا الدافع الديني هو المحرك لجموع الصليبيين نحو الشرق، واستغل المنتفعون هذا الدافع لتحقيق أطماع سياسية واقتصادية، فكانت حربا سياسية مغطاة بقناع الدين.

كما أن أسباب قيام الحروب الصليبية من قبل الغرب ورجال الكنيسة، لم تكن عادلة من الناحية الإنسانية، حيث لم تكن الأسباب مقنعة لقيام حرب صدامية طويلة وكبيرة، استمرت قرنين من الزمن، خسر فيها الطرفان الآلاف من البشر، لأسباب واهية ومصطنعة.

لقد دهم الصليبيون البلاد الإسلامية في ظروف صعبة، كان النفوذ الشيعي والباطني مستشريا ومتغلغلا في بلاد المسلمين، بالإضافة للفرقة والتمزق التي أضعفت مقاومة الأمة في التصدي للمحتل الأجنبي الغشوم.

فبانتهاء الحروب الصليبية قديما انتهت صفحة الصدام المباشر، لتبدأ صفحة أخرى تحمل نفس الفكرة لكن بأسلوب غير مباشر، فالحروب الصليبية كانت محاولة للتنصير بالقوة، وقد ثبت فشلها فشلا ذريعا، فلجأت إلى التنصير بالطرق غير المباشرة، وقد حققت بالفكر والمكر مالم تحققه بالسيف في الغالب الأعم.

لقد أفرزت الحروب الصليبية حركة تبشيرية منظمة، اتخذت عدة وسائل جديدة لغزو العالم الإسلامي، كما أن هذه الحركات التبشيرية وقفت حائلا ومانعا دون تقدم الإسلام وامتداده، واتساع رقعته صوب أوربا.

تأكد من أحداث الحروب الصليبية أن البابوية هي أساس التنصير في العالم، فهي التي حرضت ملوك النصارى للقيام بتلك الحملات الصليبية، وبابا الفاتيكان مهمته الأولى نشر النصرانية في العالم، ودعم الكنائس ماديا ومعنويا. ورسم خريطة التنصير على مستوى العالم كله قديما وحديثا.

❁❁❁

التوصيات.

١- أخذ الحيطة والحذر من خصوم الإسلام وأعدائه، مهما تغيرت الوسائل، أو تنوعت الأساليب، أو استبدلت الوجوه والشخصيات، فالهدف والغاية عندهم واحدة.

٢- أفضل وسيلة للدفاع الهجوم، فحينما يرى المسلمون طلائع الغزو الفكري تتحرك نحو البلاد والعباد، يجب أن يبدأ المسلمون بالهجوم المضاد، حتى ينشغل القوم بأنفسهم، وهذا يتطلب وجود العلماء المتخصصين، الذين يشغلون القوم بمشكلاتهم، ويقومون بالرد على الشبهات، على كافة المستويات، من أجل حماية العقول المسلمة من التأثر بها، ووقف الزحف الفكري القادم الذي يمهد لما وراءه من غزو عسكري خطير.

٣- خطورة الفرقة والاختلاف، والتفرق والتشرذم، والتناحر بين المسلمين، فذلك من أكبر عوامل الضعف والهزيمة، والعكس صحيح، أهمية الوحدة والاتحاد، والتكاتف والتعاضد، خاصة في أوقات الشدائد والنوازل، والمعارك والحروب.

٤- إعداد الدعاة المتخصصين الذين يجيدون اللغات المختلفة، وإرسالهم إلى الغرب للحوار مع الآخر، ومعرفة العقلية الأوربية عن قرب، ومعرفة الشبهات التي تثار حول الإسلام، والوقوف على الدوافع والأهداف، والاتجاهات الفكرية

وراء هذه الشبهات، والقيام بالرد عليها ودحضها، ونشر ذلك بين المسلمين عبر وسائل الإعلام المختلفة.

٥- العمل على إعداد القيادات المسلمة، وأهمية حاجة الأمة والعالم الإسلامي إلى إليها، خاصة التي تستلهم روح التضحية والجهاد، من أجل حماية الدين والبلاد من الأخطار، وتعبئة الصفوف للمواجة عند الحاجة.

٦- تقديم الإسلام للغرب في صورته الصحيحة الوسطية، في بساطة وسهولة ويسر، بعيدا عن الغلو والتطرف، أو الإفراط والتفريط، حتى يتم تصحيح الصورة المغلوطة عن الإسلام في الغرب، ومن ثم تخف حدة التوتر والقلق والصراع المستمر بين الطرفين.

٧- أهمية تأليف الكتب والبحوث العلمية في الرد على الشبهات المثارة من قبل الخصوم، ونشرها بمختلف اللغات الحية، مع إبراز محاسن الإسلام في تعامله مع خصومه في وقت الحرب. كما أن هذه الردود تقوي الجهاز المناعي عند المسلمين، وتحفظهم من التأثر بهذه الشبهات التي تثار من حين لآخر، فلا تجد آذانا صاغية، كما فعل أبو عبيدة الخزرجي، والإمام القرافي في الرد على الشبهات التي أثيرت ضد الإسلام إبان الحروب الصليبية.

وفى النهاية فهذا البحث محاولة على قدر الوسع والطاقة، في الوقوف على حقيقة دور القساوسة التبشيري في الحروب الصليبية، وعلاقة هذا الدور بالواقع

المعاصر، فيما يجرى على الساحة من أحداث، ليكون صيحة تحذير، وصرخة إنذار، أمام دعاة التنصير، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ ﴾[١].

وهو جهد بشرى، فيه ضعف البشر، ونقص البشر، شأنه شأن أي عمل بشرى، قابل للتقويم، والتوجيه، والنصح، والإرشاد، فكل يؤخذ من كلامه ويرد إلا المعصوم ﷺ.

وإنه ليتسع صدى لكل نصح أو توجيه أو إرشاد، ممن قرأ البحث أو اطلع عليه، في سبيل تطوير النفس، وإخراج العمل في أحسن صورة قدر المستطاع. ورحم الله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إذ يقول: (رحم الله امرا أهدى إلى عيوبي).

فأسأل الله أن يتقبل هذا العمل، وأن يجعله موضع قبول عند الناس، وأن لا يحرمني أجر المجتهد، وما كان فيه من جهد أو صواب أو توفيق، فهو من فضل الله أولا وأخيرا، وما كان فيه من خطأ أو نقص أو ضعف أو نسيان فهو منى ومن الشيطان، وأستغفر الله تعالى من ذلك وأتوب إليه، وحسبي أنى أردت الخير، وأخلصت النية: ﴿ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ ﴾[٢].

والحمد لله أولا وأخيرا، الذي بنعمته تتم الصاحات.

❁❁❁

(١) سورة النساء الآية (٧١).

(٢) سورة هود الآية (٨٨).

المراجع

القرآن الكريم.

الكتاب المقدس.

١- أثر العامل الديني في توجيه الحركة الصليبية د. محمد صالح منصور، ط/ منشورات جامعة قاريوس، بنغازي، الأولى ١٩٩٦م.

٢- الأجوبة الفاخرة في الرد على الأسئلة الفاجرة، للإمام القرافي، تقديم وتحقيق وتعليق د/ بكر زكى عوض ط/ الأولى سنة ١٤٠٧هـ ١٩٨٦م. وط/ الكتب العلمية بيروت الأولى ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م بدون تحقيق.

٣- احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، د/ سعد الدين صالح ط/ دار الأرقم بالزقازيق، الثانية ١٩٩٢م.

٤- الأدلة الوحدانية في الرد على النصرانية، للإمام أحمد بن إدريس القرافي، تحقيق/ عبدالرحمن دمشقية، ط/ الأولى ١٤٠٨/ ١٩٨٨م.

٥- أراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره دراسة ونقد/ د.عمر بن إبراهيم رضوان، ط/ دار طيبة للنشر والتوزيع بالسعودية.

٦- أساليب الغزو الفكري د/ على جريشة، ومحمد الزيبق، ط/ دار الاعتصام القاهرة الثانية.

٧- الاستشراق والخلفية الفكرية للصرع الحضاري، د/ محمود حمدي زقزوق، ط/ دار المعارف القاهرة ١٩٩٧م.

٨- الاستعمار أحقاد وأطماع، الشيخ/ محمد الغزالي. ط/ نهضة مصر الرابعة يناير ٢٠٠٥م.

٩- الإسلام قوة الغد، باول أشميتس، ترجمة د/ محمد شامة ط/ مكتبة وهبة ١٩٩٥.

١٠- أطلس الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي في العصور الوسطي، سامي بن عبدالله بن أحمد المغلوب، ط/ العبيكان الأولى ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م.

١١- الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، وإظهار محاسن دين الإسلام، للإمام محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق د/ أحمد حجازي السقا، ط/ مكتبة الحرمين، الرياض السعودية.

١٢- أوربا في العصور الوسطي د. سعيد عبد الفتاح عاشور. ط/ مكتبة الإنجلو المصرية القاهرة، الطبعة العاشرة ١٩٨٦م.

١٣- البداية والنهاية، تحقيق د/ أحمد أبو ملحم واخرون. ط/ دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

١٤- التاريخ الإسلامي، للعلامة/ محمود شاكر ط/ المكتب الإسلامي، الخامسة سنة ١٤١١هـ ١٩٩١م.

١٥- تاريخ الحروب الصليبية محمود سعيد عمران، دار النهضة العربية ط/ الثانية ١٩٩٩م.

١٦- تاريخ الحروب الصليبية، ستيفن رنسيمان ترجمة د/ السيد الباز العريني دار الثقافة بيروت. ط الثالثة ١٩٩٣.

١٧- التبشير النصراني في جنوب السودان، إبراهيم عكاشة علي ط/ دار العلوم القاهرة ١٩٨٢م.

١٨- التبشير والاستعمار في البلاد العربية د/ عمر فروخ، ود/ مصطفى الخالدي، نشر المكتبة العصرية بيروت لبنان. بدون تاريخ.

١٩- تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، للجعفري، تحقيق د/ محمود قدح، ط/ مكتبة العبيكان، الرياض، الأولى ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

٢٠- تنصير العالم، د/ زينب عبد العزيز ط/ دار الوفاء الأولى سنة ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.

٢١- جذور البلاء، عبد الله التل ط/ المكتب الإسلامي/ الثالثة سنة ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨م.

٢٢- الحركة الصليبية، د.سعيد عبد الفتاح عاشور. ط/ القاهرة مكتبه الإنجلو المصرية سنة ١٩٧٦م.

٢٣- الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب، د/ محمد مؤنس عوض، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الطبعة الأولى ١٩٩٩/ ٢٠٠٠م.

٢٤- الحروب الصليبية د/ أحمد شلبي/ ط/ مكتبة النهضة المصرية القاهرة، الثامنة، ١٩٨٤م.

٢٥- الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، محمد العروسى المطوي ط/ دار الكتب الشرقية تونس بدون تاريخ. وط/ دار الغرب الإسلامي ١٩٨٢.

٢٦- الحروب الصليبية وليم الصوري، ترجمة د. حسن حبشي، ط/ الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة ١٩٩١م.

٢٧- حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر، أحمد عبد الوهاب/ ط/ مكتبة وهبة، الأولى ١٤٠١ هـ ١٩٨١م.

٢٨- الحملات الصليبية والأيوبيين بعد صلاح الدين، د/ علي محمد الصلابي/ ط/ الأندلس الجديدة، الأولى سنة ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٢٩- الخليفة الإيديولوجية للحروب الصليبية، د. قاسم عبده قاسم. ط/ عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية. ط/ الأولى ١٩٩٩م

٣٠- دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية، د/ سليمان بن عبد الله بن صالح الرومي. ط/ مكتبة الرشد ط/ الأولى ١٤٢٨-٢٠٠٧م.

٣١- الدعوة إلى الإسلام، توماس أرنولد ترجمة حسن إبراهيم حسن وعبد الحميد عابدين، ط/ مصر ١٩٤٧.

٣٢- دور العلماء المسلمين في الشرق الأدنى في الجهاد ضد الصليبيين خلال الحركة الصليبية، د.آسيا سلمان نقلي ط/ مكتبة العبيكان سنة ٢٠٠٢م

٣٣- دولة السلاجقة وبروز مشروع إسلامي لمقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي، د/ محمد الصلابي ط/ دار المعرفة بيروت لبنان ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

٣٤- الرد على النصارى، للجعفري. تحقيق د/ محمد حسانين، دار الصحوة، القاهرة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٣٥- سير أعلام النبلاء، للذهبي ط/ مؤسسة الرسالة، ط/ السابعة ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٣٦- صلاح الدين الأيوبي سقوط القدس وتحريها، وليد نويهض، ط/ دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان/ الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.

٣٧- ظلام من الغرب، الشيخ. محمد الغزالي، ط/ دار القلم بيروت لبنان. بدون تاريخ.

٣٨- العالم الاسلامي في التاريخ الحديث والمعاصر د/ مصطفى محمد رمضان. ط/ القاهرة ١٤٠٣هـ-١٩٨٢م.

٣٩- الغارة على العالم الإسلامي، آل شاتليه، ترجمة، محب الدين الخطيب، ومساعد اليافي، ط/ بيروت، مكتبة أسامه بن زيد، بدون تاريخ.

٤٠- الغزو الصليبي والعالم الإسلامي، د/ علي عبد الحليم محمود، ط/ دار التوزيع والنشر الإسلامية القاهرة الطبعة الأولى سنة ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.

٤١- قادة الغرب يقولون دمروا الإسلام أبيدوا أهله، جلال العالم، ط/ دار السلام ١٤١٣هـ ١٩٩٤م.

٤٢- قاموس الكتاب المقدس، مجموعة مؤلفين، منشورات مكتبة المشعل، ط السادسة سنة ١٩٨١م.

٤٣- القدس ومعاركنا الكبرى من البداية حتى الحروب الصليبية، محمد صبيح الجزء الأول ط/ مكتبة الشباب.

٤٤- قصة الحضارة، ول ديورانت ترجمة محمد بدران ط/ جامعة الدول العربية ١٩٧٦م.

٤٥- قصة الحروب الصليبية، د/ راغب السرجاني، ط/ الثانية مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع والترجمة ٢٠٠٩م.

٤٦- الكامل في التاريخ/ لابن الأثير، عز الدين أبو الحسن على بن محمد الشيباني، تحقيق د/ عمر عبد السلام تدمري ط/ دار الكتاب العربي بيروت ط/ الأولى ١٩٩٧م.

٤٧- ماهية الحروب الصليبية، قاسم عبده قاسم. ط/ سلسلة عالم المعرفة بالكويت عدد رقم ١٤٩، صدر في مايو ١٩٩٠.

٤٨- مجموع فتاوى شيخ الإسلام، ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم. ط/ الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، بالمدينة المنورة.

٤٩- المستشرقون ومشكلات الحضارة، د/ عفاف صبره، ط/ دار النهضة العربية، مصر- ١٩٨٥م.

٥٠- المستشرقون، لنجيب العقيقي ط/ دار المعارف/ ط/ الرابعة.

٥١- المعجم الوسيط، لمجمع اللغة العربية بالقاهرة. ط/ مجمع اللغة العربية بالقاهرة. ط/ الثالثة سنة ١٤٠٥هـ - سنة ١٩٨٥م.

٥٢- معركة المصطلحات بين العرب والإسلام د. محمد عمارة ط/ مكتبة نهضة مصر-/ القاهرة سنة ١٩٩٧.

٥٣- مقامع الصلبان ومراتع رياض أهل الإيمان، أحمد بن عبدالصمد الخزرجي، تحقيق د. محمد شامه، تحت عنوان بين المسيحية والإسلام، مكتبة وهبة، مصر-، ط/ الثانية ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

٥٤- مقدمات العلوم والمناهج أنو الجندي ط/ دار الانصار القاهرة.

٥٥- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق، محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت،ط/ الأولى. ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م،

٥٦- منظومة البوصيري في الرد على النصارى واليهود، محمد بن سعيد البوصيري، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، ط/ دار البيان القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٥٧- موسوعة المستشرقين، عبد الرحمن بدوي، ط/ دار العلم للملايين بيروت ١٩٨٩م.

٥٨- الموسوعة الميسرة في المذاهب والأديان المعاصرة، نشر دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع الرياض سنة ١٤٢٠هـ.

٥٩- النصيحة الإيمانية، لنصر بن يحيى المتطبب، تحقيق د. محمد الشرقاوي. ط/ دار الصحوة، القاهرة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٦٠- هجمات مضادة في التاريخ الإسلامي، د/ عماد الدين خليل ط/ مكتبة النور، الأولى سنة ١٤٠٧هـ ١٩٨٦م.

❁❁❁

السيرة الذاتية الخاصة بالدكتور/ أحمد عبد الهادي شاهين.

المؤهلات:

(١) ليسانس أصول الدين والدعوة من جامعة الأزهر كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة سنة ١٩٨٩م قسم الدعوة والثقافة الإسلامية بتقدير (جيد جدا مع مرتبة الشرف).

(٢) ماجستير في الدعوة والثقافة الإسلامية من جامعة الأزهر كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية سنة ١٩٩٥م بعنوان (مشكلات الشباب النفسية والاجتماعية وعلاج الإسلام لها) بتقدير (ممتاز).

(٣) الدكتوراه في الدعوة والثقافة الإسلامية ومقارنة الأديان. من جامعة الأزهر كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية سنة ١٩٩٩م بعنوان (خصائص الدعوة في العهدين القديم والجديد والقرآن الكريم دراسة مقارنة) بتقدير (مرتبة الشرف الثانية).

الوظائف السابقة:

١. عمل إماما وخطيبا بوزارة الأوقاف المصرية من ١/ ٣/ ١٩٩٠م. حتى ٢٠/ ٢/ ١٩٩٣م.
٢. عمل معيدا بجامعة الأزهر في كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية في ٢١/ ٢/ ١٩٩٣م. حتى ٢٥/ ١٢/ ١٩٩٥م.
٣. عمل مدرسا مساعدا في كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية في ٢٦/ ١٢/ ١٩٩٥م. حتى ٤/ ٥/ ١٩٩٩م
٤. عمل مدرسا بقسم الدعوة في كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية من٥/ ٥/ ١٩٩٩م حتى ٣٠ يونيو ٢٠٠٣م.
٥. عمل أستاذا مساعدا بقسم الدعوة في كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية من ٣٠ يونيو ٢٠٠٣م حتى ١يوليو ٢٠٠٤.
٦. عمل أستاذا مشاركا في الجامعة الإسلامية بأمريكا متشجن دوترويد من ١ يوليو ٢٠٠٤م حتى ٣٠ يونيو ٢٠١١.
٧. عمل أستاذا للدعوة والثقافة الإسلامية ومقارنة الأديان في جامعة طيبة. بالمدينة المنورة. المعهد العالي للأئمة والخطباء. من ١ يوليو ٢٠١١ م.

٨. **الوظيفة الحالية: أستاذ بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية ومقارنة الأديان في جامعة الأزهر.**

التخصص الدقيق: (الدعوة والثقافة الإسلامية ومقارنة الأديان).

المواد التي يقوم بتدريسها:/ الدعوة/ الخطابة/ الثقافة الإسلامية/ تاريخ الخلفاء/ إسلام في المشرق/ الفرق/ فقه السيرة النبوية/ الاستشراق/ التنصير/ مقارنة الأديان/ اليهودية/ النصرانية/ مناهج الدعوة/ آيات الله الإنسانية/ آيات الله الكونية/ قضايا معاصرة/ خلق المسلم/ رسالة المسجد/ حقوق الإنسان في الإسلام.

أعمال أخرى:

(١) انتدب للتدريس في كلية الدراسات الإسلامية للبنات بالإسكندرية، ومعهد الثقافة بوزارة الأوقاف، ومعاهد إعداد الدعاة.

(٢) يقوم بالخطابة والدروس والمحاضرات في مساجد الأوقاف بجمهورية مصر العربية، ومساجد الجمعية الشرعية منذ عام ١٩٨٩م حتى الآن.

(٣) سافر إلى دول أوروبا وأمريكا لإلقاء خطب الجمعة والمحاضرات والدروس الرمضانية، وحضور المؤتمرات والندوات العلمية.

(٤) له العديد من المقالات في مجلة التبيان المصرية. وجريدة الأهرام القاهرية. وجريدة عقيدتي. والأحاديث الإذاعية بإذاعة القرآن الكريم ونداء الإسلام من مكة المكرمة.

يجيد الحديث باللغة الإنجليزية، واستخدام الحاسب الآلي.

تاريخ الميلاد:٢٧/ ٢/ ١٩٦٧م.

الحالة الاجتماعية: متزوج وله أربعة من الأولاد.

عنوان السكن في مصر: محافظة الدقهلية – مدينة أجا – خلف الإدارة الزراعية.

عنوان العمل في مصر: كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية ت/ ٠٤٨ ٢٣١٦٨٩١ /٢.

البريد الإلكتروني: drahmed1967@yahoo.com.

❁❁❁

المؤلفات الخاصة بالدكتور/أحمد عبد الهادي شاهين.

✍ سلسلة كتب في الدعوة والخطابة:

١. الدعوة إلى الإسلام قواعد وأصول.
٢. وسائل الدعوة الإسلامية وأساليبها في ضوء القرآن والسنة.
٣. القواعد المنهجية للدعوة عند السلف.
٤. السيدة عائشة ﵂ وجهودها في الدعوة الإسلامية.
٥. الدعوة الإسلامية في أمريكا (رؤية من الداخل).
٦. الخطابة قواعد وأصول.
٧. المساجد بين الاتباع والابتداع.
٨. في ظلال خلق المسلم. الجزء الأول.
٩. في ظلال خلق المسلم. الجزء الثاني.
١٠. في ظلال خطب الجمعة. الجزء الثالث.
١١. في ظلال خطب الجمعة. الجزء الرابع.
١٢. في ظلال خطب الجمعة. الجزء الخامس.
١٣. في ظلال خطب الجمعة. الجزء السادس.
١٤. واحة الإمام في إرشاد الأنام. ١٠٠ خطبة مترجمة إلى اللغة الإنجليزية.
١٥. الوحدة الإسلامية فريضة وضرورة.
١٦. قطوف من الأدب والحكمة.

❁❁❁

سلسلة كتب مشكلات الشباب:

١٧. مشكلة الانحراف الجنسي عند الشباب وكيف عالجها الإسلام؟.

١٨. مشكلة الإدمان والتدخين عند الشباب وكيف عالجها الإسلام؟.

١٩. مشكلة الغلو في الدين عند الشباب وكيف عالجها الإسلام؟.

٢٠. مشكلة القلق عند الشباب وكيف عالجها الإسلام؟.

❁❁❁

سلسلة كتب مقارنة الأديان.

٢١. اليهودية في ضوء العهد القديم وموقف القرآن الكريم منها.

٢٢. النصرانية في ضوء العهد الجديد وموقف القرآن الكريم منها.

٢٣. خصائص الدعوة الإسلامية في ضوء القرآن الكريم والسنة.

٢٤. المسيح عليه السلام بين النصرانية والإسلام (دراسة مقارنة).

٢٥. التنصير وخطره على العالم الإسلامي.

٢٦. دور القساوسة التبشيري في الحروب الصليبية.

٢٧. الاستشراق في ميزان الإسلام.

٢٨. العلمانية وخطرها على المجتمعات المسلمة.

٢٩. الحوار بين الأديان. (تعايش لا ذوبان).

٣٠. تحقيق مخطوط (الأدلة العقلية على أشرفية الشريعة المحمدية).

لإبراهيم بن محمد الراوي العراقي.

❁❁❁

الفهـــرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٣
أهمية الموضوع ودواعي الكتابة فيه	٨
الدراسات السابقة	١٤
صعوبات البحث	١٥
منهج البحث	١٦
خطة الدراسة	١٦
التمهيد: التعريف بعنوان ومصطلحات الموضوع.	١٨
التعريف بكلمة دور	١٨
التعريف بالقساوسة	١٨
التعريف بالتبشير في اللغة	١٩
التعريف بالتبشير في الاصطلاح	٢١
التعريف بالحروب الصليبية	٢١
المبحث الأول: نبذة مختصرة عن أحوال العالم الإسلامي والغربي (أوروبا) قبل الحروب الصليبية.	٢٥

نبذة مختصرة عن العالم الإسلامي قبل الحروب الصليبية	٢٥
نبذة مختصرة عن أوربا قبل الحروب الصليبية	٢٩
نبذة مختصرة عن الحملات الصليبية	٣١
المبحث الثاني: دور القساوسة والكنيسة في أسباب الحروب الصليبية.	٣٧
١-الأحقاد الدينية الدفينة	٣٨
٢- إتساع رقعة الإسلام على حساب النصرانية	٤٤
٣-البابا أوربان الثاني يقف وراء الحرب الصليبية الأولى	٤٦
٤- بطرس الناسك ودوره في الحرب الصليبية الأولى	٥٩
٥- الحج عند النصارى وعلاقته بالحروب الصليبية	٦٣
٦- السبب الاقتصادي والتجاري وعلاقته بالكنيسة	٦٥
المبحث الثالث: أهداف الحروب الصليبية.	٦٨
المبحث الرابع: دور القساوسة التبشيري أثناء المعركة وبعدها.	٧١
١- حضور القساوسة في ميدان الحرب	٧١
٢- إرسال الحملات التنصيرية إلى بلاد المسلمين	٧٤
العلاقة بين نصارى الشرق والحملات الصليبية	٧٦
العلاقة بين التبشير والحروب الصليبية	٧٧

٣- بناء الكنائس التابعة للغرب في القدس	٧٨
٤- إقامة المذابح الجماعية	٧٩
٥- بدء حملات التنصير المنظمة	٨٣
لويس التاسع ودوره في وضع خطة التنصير	٨٥
ظهور الغزو الفكري وبدايته وتطوره	٨٨
المبحث الخامس: أهم شبهات القساوسة والمنصرين حول الاسلام.	٩١
١- شبهة أن الإسلام للعرب فقط	٩٢
٢- شبهة أن القرآن الكريم أورد تعظيم النصارى وأثنى عليهم	٩٤
٣- شبهة تعدد الزوجات في الإسلام	٩٧
٤- شبهة انتشار الإسلام بالسيف	٩٩
٥- شبهة حول جمع القرآن الكريم وقراءاته	١٠١
٦- شبهة حول الطلاق في الإسلام	١٠٥
٧- شبهة حول وصف المسلمين بالوثنية	١٠٦
أبرز العلماء المعاصرين للحروب الصليبية الذين تصدوا لشبهات المنصرين	١٠٩
المبحث السادس: الحروب الحديثة والمعاصرة حروب صليبية.	١١٤

١- من نتائج وآثار الحروب الصليبية على الفريقين	١١٨
٢- من نتائج وآثار الحروب الصليبية على الشرق	١١٩
٣- من نتائج وآثار الحروب الصليبية على الغرب	١٢١
المبحث السابع: كيف نتصدى للغزو الفكري وحملات التنصير.	١٢٣
١- العمل الجاد على تقوية العقيدة الإسلامية في نفوس المسلمين	١٢٣
٢- العمل على إقامة الوحدة الإسلامية بين المسلمين	١٢٧
٣- تقوية الجانب الثقافي والفكري عند المسلمين	١٢٨
الخاتمة.	١٣١
التوصيات.	١٣٦
المراجع.	١٣٩
السيرة الذاتية.	١٤٥
المؤلفات والكتب.	١٤٧
الفهرس.	١٤٩-١٥٢

❁❁❁